مکتبتنا العربية

ربیع الآخر سنة ۱۳۷۶
۱۵۷

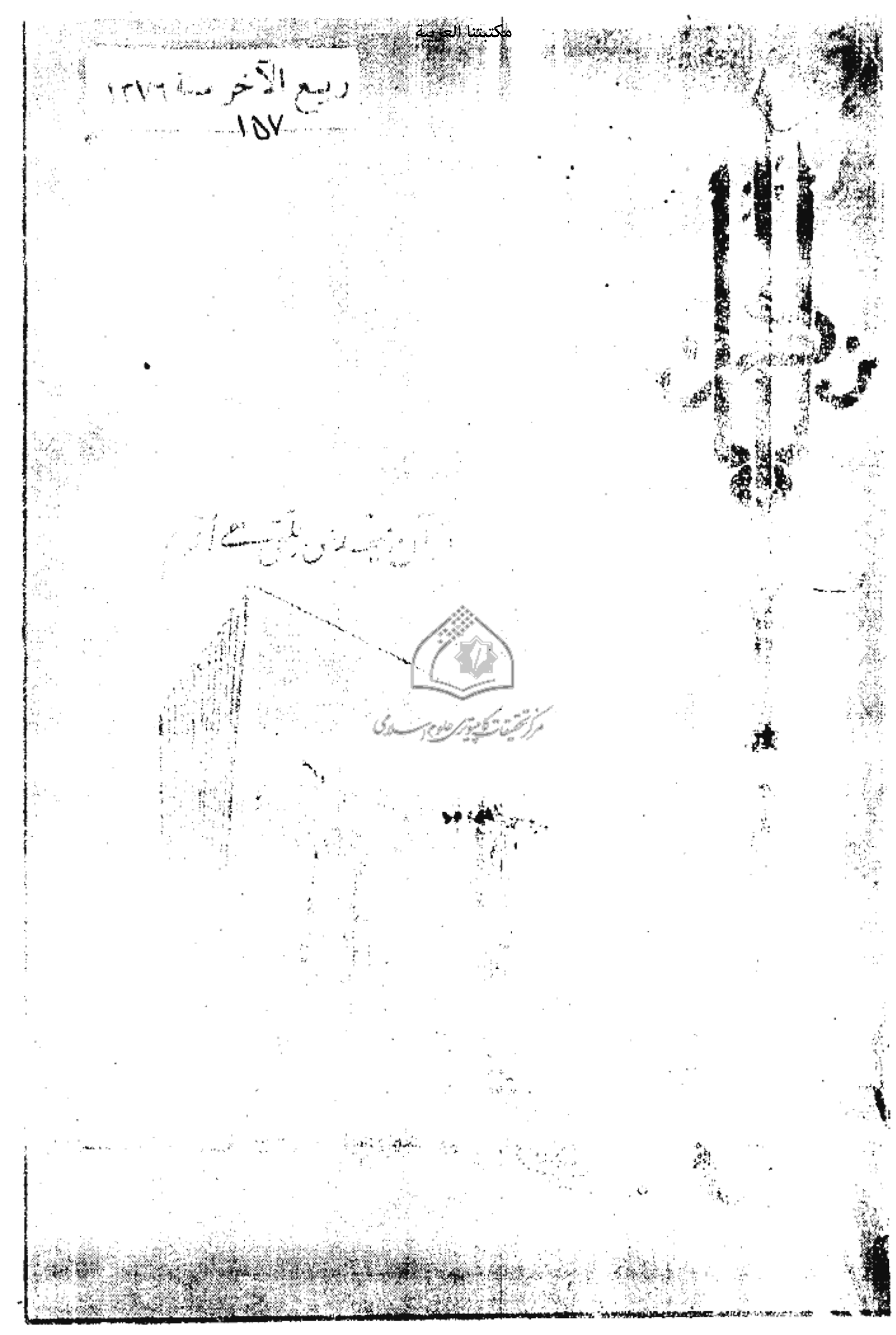

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

مكتبتنا العربية

رئيس التحرير
محب الدين الخطيب
الاشتراك السنوى
٤٠٠ مليم في وادى النيل
٢٠٠ لطلبة وادى النيل
٣٠٠ للعلماء والمدرسين بالأوقاف
٥٠٠ خارج الوادى
٣٠٠ للطلبة خارج الوادى
٤٠٠ للعلماء والمدرسين خارج الوادى

مجلة الأزهر

مجلة شهرية جامعة
تصدر عن مشيخة الأزهر فى أول كل شهر عربى

مدير المجلة
عبد الرحمن بيسى
العنوان
إدارة الجامع الأزهر بالقاهرة
تليفون ٤٦٢١٤

الجزء الرابع ـ القاهرة فى غرة ربيع الآخر ١٣٧٦ ـ ٤ نوفمبر ١٩٥٦ ـ المجلد التاسع والعشرون

بسم الله الرحمن الرحيم

العمـــــلاق

بين أمسه ويومه

لقد عرف قراؤنا من هو العملاق ، إننى تحدثت عنه وعن هجمته و يقظته فى صدر جزء رمضان من هذه المجلة لعامها الماضى .

وقد توالت الأحداث بعد ذلك منبئة بيقظته . إن المخدرات والسموم التى دسها شانئو العروبة والإسلام فى أنوف العرب والمسلمين من مائتى سنة إلى الآن ، بل من ألف سنة إلى الآن ، لم تؤثر فى حيوية العملاق ، إن حيويته القوية نامية معه من الأزل ، ليخفق بها فؤاده إلى الأبد . إن أسلاك البرق وموجات الأثير تحمل الآن بين عواصم الأرض وأرجائها فى البر والبحر أنباء هذه اليقظة فيما بين المغرب والمشرق . والذين سهروا وسهر آباؤهم وأجدادهم من قبلهم على تخديرنا وتضليلنا ، يبكون الآن دما على فشلهم فى كل مابذلوه من جهود ليوهنوا فى قلوبنا وعقولنا رابطتنا بعروبتنا و إسلامنا ، فهم يتلقون الآن أنباء هذه اليقظة آسفين متحسرين على ما أخفق من آمالهم ، وما ضاع من جهودهم ...

لقد رضى المستعمرون بتقلص ظل استعمارهم العسكرى بعد الذى أصابهم من الوهن

فى الحربين العالميتين ، لكنهم كانوا يتعللون بأنهم نجحوا فى تخديرنا وتضليلنا ، وأنهم خدعونا عن أنفسنا ، وأننا آمنا بهم كما آمن بهم أتاتورك والسائرون من ورائه . فلما بدأ العملاق يستيقظ تبين لهم أن العرب غير الترك ، وأن المسلمين مازالوا بخير ، وأن ما بذروه فى وزارات معارفنا ، وما كيفوه من أدوات التثقيف فى ربوعنا ، وما أنفقوه على مرافق التبشير والدعاية الأجنبية فى أوطاننا ، قد انهار كله بين ايلة وليلة ، وأيقنوا أن العملاق سيعود لامحالة فيتبوأ مقعده اللائق به بين أمم الأرض .

طالما وددت لو أن جامعاتنا آمنت بعروبتها وإسلامها ، كما آمنت شعوبنا بعروبتها وإسلامها . إنها لو فعلت لاتخذت عدتها ـ منذ قامت الثورة ـ لتوسيع دراساتها العربية والإسلامية ، ولأحسنت توجيه شبابنا الجامعى نحو التنقيب عن معدن العروبة وكنوز الإسلام ، حتى يرجع بهما الجيل المثقف إلى حقيقته ، وحتى يصل غده بأمسه ، فيلد العملاق الأزلى ، العملاق الأبدى ، وتستقبل الإنسانية قادة الحق والخير ، حاملين الأمانة التى ادخرها لهم أسلاف العروبة والإسلام يوم حملوا لأمم الأرض لواء الحق والرحمة والخير .

كل الأمم كان لها فى أدوار حياتها ، وقبل تمدنها وحضارتها ، دور بداوة . وكل الأمم كانت فى دور بداوتها ذات لغة بدائية قليلة المفردات ، لا تكاد تبلغ كلماتها ألف كلمة إن لم تكن أقل من ذلك . وكانت مداركها العقلية ضئيلة كضئولة لغاتها ، لأن لغة كل أمة ترجمان مداركها العقلية ، ودليل اتجاهاتها الخلقية وأهدافها الإنسانية . فالعربية ـ من دون لغات البشر جميعا بلا استثناء ـ كانت فى بداوة أهلها أوسع لغات أمم الأرض قاطبة فى بداوتهن ، وكانت مع امتيازها بهذه السعة غنية بمعانيها الإنسانية ، بينما بعض اللغات لايكاد يوجد فيها ما تعبر به عن أبسط الأخلاق الفطرية . خذ لذلك مثلا معنى « الوفاء » ، فان اللغة التركية لا يوجد فيها لفظ واحد يدل عليه ، بينما هذه المادة وما يشتق منها وما تدور عليه من المعانى قد شغل من لسان العرب الصفحات ٢٧٨ ، و ٢٧٩ ، ٢٨٠ ، ٢٨١ من جزئه العشرين ، ولهذا قال أمير المؤمنين عمر بن الخطاب يصف العربية : إنها « تنبت العقل ، وتزيد فى المروءة » ، وإنما كانت تزيد فى المروءة لأنها لغة أمة استغنت بالأخلاق فى بداوتها عن القوانين والأنظمة المكتوبة وعن الحكومات والأحكام ، بل إن مكة أم القرى وبلد قريش لم يكن لها ملك ولا شرطة ولا محاكم ،

مكتبتنا العربية

وإنما كانت لهم دار الندوة يتشاور فيها ذوو الحجى والتقدم إذا حزبهم أمر ، وقلما يبغى فيها أحد على أحد ، وقد وقع فيها مرة مطل من مدين قرشي على دائن يمني فعقد شباب قريش مجلسا في دار عبد الله بن جدعان التيمي حضره رسول الله صلى الله عليه وسلم في صدر شبابه وحكموا على المماطل بأن يؤدي ما عليه لدائنه ، وقال في ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد هذا الاجتماع بعشرات السنين : لو دعيت إلى مثله الآن لأجبت . فهم أمة كانت تتعامل بالمروءة ، ولذلك كانت لغتها تزيد في المروءة كما قال عمر بن الخطاب . وإنما كانت العربية تثبت العقل أيضا لأنها لغة تترجم عن مدارك أهلها وعقولهم ، وفي ذلك يقول الفرزدق يصف الأمة التي هو منها :

أحلامنا تزن الجبال رزانة وتخالنا جنا إذا ما نجهل

هذا الامتياز الذي امتازت به لغة العروبة في بداوتها ماذا صنعت جامعاتنا في دراسته ، وتنبيه الشباب الجامعي اليه ، وتوجيه جهودهم العلمية لتحليله ، والتأليف فيه ، وبناء النتائج عليه ؟

عندنا كلية اللغة العربية في الأزهر ، وكلية دار العلوم ، وكليات الآداب في الجامعات الثلاث . وعندنا في بغداد جامعة وجامعيون ، وفي دمشق جامعة وجامعيون . وفي تونس جامع الزيتونة ، وفي المغرب جامع القرويين . هذه المعاهد لا يمتد نظرها في العربية وآدابها لأبعد من زمن المعلقات وأصحابها ، أي إلى قرن واحد قبل الإسلام . ومنهم من يذكر لتلاميذه قول امرئ القيس :

عوجا على الطلل المحيل لعلنا نبكي الديار كما بكى ابن حذام

فيذكرهم بأن ابن حذام كان شاعرا من شعراء العرب الأقدمين يوم كان امرؤ القيس في عصره من الشعراء المحدثين .

ويمتد نظر بعضهم لأبعد من عصر المعلقات فيقرر أن عدي بن ربيعة التغلبي - وهو المهلهل - أول من قصد القصائد في قتل أخيه كليب بن وائل . ويعلو بعضهم إلى زمن العنبر بن عمرو بن تميم ، وابني عمه سعد بن زيد مناة بن تميم ، ومالك بن زيد مناة ابن تميم فيروون لهم قطعا من الشعر صحت عنهم ، وزمنهم أقدم من زمن المعلقات بمئات من السنين . وأعرق من ذلك في القدم قول أعصر - واسمه منبه - بن سعد بن قيس عيلان يخاطب بنته عميرة :

أعمير إن أباك شيب رأسه كر الليالي واختلاف الأعصر

مكتبتنا العربية

وأقدم منه دويد بن زيد بن نهد القائل يوم حضرته الوفاة :

اليوم يبنى لدويد بيتـه ... لو كان للدهر بلى أبليته

وقول زهير بن جناب الكلبي :

فما إبلى بمقتـدر عليها ... ولا حلمى الأصيل بمستعار
ستمنعها الفـوارس من بلىّ ... وتمنعهـا فوارس من صحـار
ويمنعها بنو القين بن جسر ... إذا أوقـدت للحـدثان نارى
ويمنعهـا بنو نهـد وجرم ... إذا طال التجاول فى الغوار
بكل مناجـد جلد قواه ... وأهيب عاكفون على الدوار

وقوله عند موته يوصى بنيه :

إبَنىَّ إن أهلك فانى قـد بنيت لـكم بنيه
وجعلتـكم أبنـاء نسـ ... ـدات زنادكم وريه
ولقد رأيت النـار للسـ ... ـلاف توقد فى ضميه
ونطقت خطبة ماجـد ... غير الضعيف ولا العييه
والموت خـير للفتى فليهلكن وبه بقيـه
من أن يرى الشيخ البجال وقـد ثنـانى بالعشـيه

وهـذه القطع المـأثورة مضى عليها نحو خمسة وعشرين قرنا ، لأن زهير بن جناب ودويد بن زيد بن نهد كانا بعد افتراق بنى معدّ من الحجـاز ، ومعدّ كان معاصرا لبختنصر الـكبير وسبيه اليهود وإجلائهم عن فلسطين . وفى مثل عراقتها فى القدم من نثر العرب وصـية نهد بن زيد بن ليث بن سود بن أسلم بن الحـاف بن قضاعة ، فقد جمع بنيه لما شعر بدنو أجله فقال لهم :

« أى بنى ، أوصيكم بالعدو شرا : ضربا أزا ، وطعنا وخزا . كلموهم نزرا ، وانظروهم شزرا ، واطعنوهم دسرا .

اقطروا الأعنة ، وطرّروا الأسنة ، وارعوا الغيث حيث كان » .

فقال له رجل من ولده — يغلب أنه حزيمة — :

— وإن كان على الصفا ؟

مكتبتنا العربية

فأجابه نهد : و إن كان على حافة الصفا . . .

فكان بنو نهد يحفظون وصية جدهم على مر القرون .

قال هبيرة بن عمرو بن جرثومة النهدى يذكر هذه الوصية و يذكر قومه بها :

وأوصى أبونا فاتبعنا وصاته ... وكل امرئ موص أبوه وذاهب
فأوصى بألا تستباح دياركم ... وحاموا كما كنا عليها نضارب
إذا أوقدت نار العدو فلا يزل ... شهاب لكم ترمى به الحرب ثاقب
يفرج عن أبنائنا ونسائنا ... جلاد وطعن يردع الخيل صائب
وما ذاد عنا الناس إلا سيوفنا ... وخطية مما يثقف زاعب

وزاعب هذا رجل من اليمن كان صاحب مصنع أسلحة .

و بقيت هذه الوصية يتوارثها الخلف عن السلف أكثر من ألف سنة ، إلى أن كان زمن أمير المؤمنين علىّ ، فقال رجل من أبناء عصره وهو عمرو بن مرة بن مالك النهدى أحد بنى زوىّ بن مالك يثنى على بنى كلب بن وبرة من قضاعة لأنه استنجدهم فأنجدوه ـ كموقف العروبة والإسلام الآن من قضيتى الجزائر وفلسطين ـ ولم يثنهم عن نجدته وساوس الناهين ، فقال فيهم :

رحلت إلى الكلب بحر بلادهم ... فلم يسمعوا فى حاجتى قول قائل
وكانوا كظنى إذ رحلت إليهم ... وما عالم بالمكرمات كجاهل
رهنت يمينى فى قضاعة كلها ... فأبت حميدا فيهم غير خامل
بذلك أوصانا زوىّ بن مالك ... ونهد بن زيد فى الخطوب الأوائل
فأوصى بألا تستباح دياركم ... وحاموا عليها تنطقوا فى المحافل
وغالوا بأخذ المكرمات فانها ... تفوز غداة السبق عند التفاضل

نحن من أمة ذات تراث إنسانى يجب دراسته من مختلف النواحى ، وأهم ما ينبغى دراسته و إطالة النظر فيه عراقة العروبة فى القدم حتى مضى عليها من مئات القرون الوقت الكافى لنمو لغتها هذا النماء العجيب وتشعب كلماتها بالاشتقاق الأصغر والأعظم ، مع تشعب المدارك العقلية والمعانى الإنسانية فى الأمة العربية ، حتى بلغت فى زمن المعلقات وعصر ظهور الإسلام هذا المبلغ من الدقة والجمال والسعة والبلاغة ، فاستحقت أن يوحى بها كتاب الله ، واستحق أهلها أن يختارهم الله لحمل رسالة خاتم أنبيائه .

مكتبتنا العربية

إن هذه الدراسة أهم بكثير من دراسة الجيولوجيين لطبقات الأرض ، فالبشر أعظم قيمة من الأرض التى يمشون عليها ، والبشر حيوان لولا المنطق الذى امتاز به وهو اللغة ، فاللغة هى الجوهر الذى كان به الإنسان إنسانا ، وكلما كان هذا الجوهر أكرم وأغلى كان أهل العلم أجدر بالعناية به ومعرفة ما به كان أكرم وأغلى . وهل ننتظر من الفرنسيين أو الانجليز أو الأمريكيين أن يقوموا عنا بدراسة تراثنا الذى نمتاز به عليهم امتيازا قضى الله به ومضى به التاريخ فأصبح من قضاياه المقطوع بها مبدئيا ، ولم يبق لاستكمال هذا الحكم التاريخى إلا استيفاء (حيثياته) وهى هى الدراسة التى ندعو إليها ، ونريد من جامعاتنا أن تستعد لها .

كلما درسنا هذه القضية ، ووقفنا على شىء من أسرارها ، وآمنا بصحة هذا الامتياز القومى الذى اختصنا الله به من دون البشر ، كان ذلك مفخرة لنا ، وتقريرا لعلو منزلتنا فى الأسرة الإنسانية ، وكان مصدر قوة لنا ، وحافزا لهممنا على كتابة تاريخنا من جديد .

العربية أعرق لغات الأرض فى القدم ، وإن سعتها ، وكثرة مشتقاتها ، ودقتها فى التعبير ، وإحاطتها بمعانى الفطرة ، والمشاعر الإنسانية ، ورشاقة مادتها ، وبلاغتها فى أداء المعنى الكثير باللفظ القليل ، ومنطقها السليم فى إعرابها ، كل ذلك وغيره لا ريب أنه مما لم يتوفر بجملته للغة أخرى من لغات البشر فى بداوتها كما توفر للغة العربية فى بداوتها ، وقد دل على أن العربية كانت موجودة فى أطوارها الأولى قبل أدهار وأدهار من بدء وجود أى لغة أخرى من اللغات المعروفة . وإن أعداء هذه اللغة وأعداء أهلها يقفون أمام هذه الحقائق حيارى واجمين ، كوقفة ارنست رينان فى كتابه (تاريخ اللغات السامية) حيث قال عن لغة العرب : « من أغرب المدهشات أن نثبت تلك اللغة القوية وتصل إلى درجة الكمال وسط الصحارى عند أمة من الرحل ، تلك اللغة التى فاقت أخواتها بكثرة مفرداتها ، ودقة معانيها ، وحسن نظام مبانيها . ولقد كانت هذه اللغة مجهولة من الأمم ، ولكنها من يوم علمت ظهرت لنا فى حلل الكمال ، إلى درجة أنها لم تتغير أى تغير يذكر ، حتى أنها لم يعرف لها فى كل أطوار حياتها لا طفولة ولا شيخوخة ، ولا نكاد نعلم من شأنها إلا فتوحاتها وانتصاراتها التى لا تبارى . ولا نعلم شبيها لهذه اللغة التى ظهرت للباحثين كاملة من غير تدريج ، وبقيت حافظة لكيانها خالصة من كل شائبة » .

وإنما كانت العربية لا يعرف لها أرنست رينان وغيره زمن طفولة لعراقة طفولتها

فى القدم : قبل أن توجد لغات الأمم الأخرى التى يعرف لها الناس زمن طفولة . فاللغة العبرية التى كتب بها سفر تثنية الاشتراع فى زمن موسى المعاصر لزمن الفراعنة يعرف عنها علماء اللغات السامية أنها وليدة الكنعانية واللهجات الفينيقية ولهجات قبائل شرق الأردن وقرى غربى الأردن ، فالفينيقية أعرق منها فى القدم ، مع أن الفينيقية نفسها وليدة اللهجات العربية فى نجد وسواحل الخليج العربى فى عصر هجرة الفينيقيين عن جزيرة العرب قبل نحو ستة وعشرين قرنا من ميلاد المسيح فى تقدير المؤرخ باتون الأمريكى . فالفينيقية سليلة لهجات عربية ، كما أن الفينيقيين أنفسهم من مهاجرة العرب إلى سواحل الشام ، وقد نقلت أدلة ذلك فى رسالة « اتجاه الموجات البشرية فى جزيرة العرب » بل إن العربية ووطنها الأول هما الأم للغة الكلدانية والأشورية ولسكان العراق بعد السومريين ، وذلك قبل خمسة وخمسين قرنا ، أى فى نحو سنة ٣٦٠٠ قبل المسيح .

وقد تحدثنا فى جزء رجب من هذه المجلة فى عامها الماضى عن معنى قول الدستور المصرى إن مصر جزء من الأمة العربية ، وضربنا بعض الأمثال على توافق العربية والمصرية القديمة .

والذى يقارن اللغات السامية — كالكلدانية والأشورية والفينيقية والعبرية — باللغة العربية يجد البون شاسعا بين كمال العربية ووضوحها ، وفقر اللغات الأخرى وغموضها ، كما اعترف بذلك أرنست رينان وغيره ، وسبب ذلك عراقة العربية وقدم تطورها حتى بلغت مرتبة الكمال والنضج عندما كانت اللغات السامية الأخرى فى أوائل مراحل التطور . وهذه العراقة فى الكمال ، وهذا الدور المبكر للنضج ، هو الذى ارتقى بالعروبة فى درجات إنسانيتها ، وارتقى بالعربية فى مستوى بلاغتها ودلالتها على سعة المدارك ، ومماشاة المروءة فى طريقها إلى أهدافها ، كما لاحظه أمير المؤمنين عمر فى قوله عن العربية إنها : « تثبت العقل ، وتزيد فى المروءة » .

لهذا كله ولغيره مما لا تتسع له إلا الدراسات الجامعية المتواصلة ، لهذا وذاك ، اختار الله العروبة لحمل أكمل رسالاته ، وظهر الإسلام فى بيئة هى أعظم بيئات الإنسانية ملاءمة لظهوره فيها ، وقد حاولت أن أشرح هذه القضية فى مقال « بيئة الإسلام الأولى التى اختارها الله لمولد خاتم رسله وظهور أكمل رسالاته » وذلك فى جزء ربيع الأول من هذه المجلة لسنتها الماضية ، وهذا الموضوع أيضا كان مما يجب على جامعاتنا أن تتناوله بالدرس المستفيض ، وأن توجه الشباب الجامعى إلى بحثه من مقدماته إلى نتائجه ، فان مقدماته أمرها عظيم ، ونتائجه قد غيرت مجرى التاريخ بالفعل .

بذلك بلغت العروبة ذروة عظمتها ، وبذلك سجل التاريخ للعملاق أنه الإنسان الأعلى والمخلوق الأكمل ، والذين امتعضوا من ذلك وحاولوا الوقوف فى طريق التاريخ ليحولوه فى غير مجرى الإسلام ، اكتسحهم الإسلام بتيار الحق الجارف فاندحروا ، ودخل خلفاؤهم فى الإسلام كذبا ورياء ليكونوا طابورا خامسا بين جدران قلعته فيخونوه ، ويشوهوا جماله ، ويغيروا حقيقته ، فابتدعوا المذاهب المنحرفة ، وأعادوا البدع التى جاء الإسلام لإزالتها ، وسوأوا — فى ظنهم — سمعة الصحابة الأولين الذين أدّوا إلينا أمانة القرآن وحفظوا لنا سنة رسول الله ، ونشروا دعوة الإسلام فى الأرض ، فاستجابت الأمم لدعوتهم وباركت جهادهم ، وكان تكوين هذا العالم الإسلامى بجهادهم وجهودهم . فالذين صنعوا هذا كله ، وحمد الله لهم إخلاصهم وعلمهم بنص كتابه ، وتوفى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو راض عنهم ، محب لهم ، حامد لطريقتهم الحسنة ، هذا الجيل المثالى الذى وصفته فى إحدى مقالات هذه المجلة (جمادى الآخرة ١٣٧٣) مازال الطابور الخامس عاملا على ذمه ، والافتراء عليه ، وتجاهل أياديه فى حفظ الإسلام ، وفى تكوين هذا العالم الإسلامى .

وقد تدنست الكرة الأرضية بمئات الكتب القذرة التى تريد أن تقول للناس : إن خير أمة أخرجها الله للناس هى شر أمة وجدت فى الأرض ! فالدور الذى مثله هؤلاء فى المذاهب المنحرفة التى حاولوا بها تغيير دين الإسلام والنكاية للنبى صلى الله عليه وسلم بافساد الرسالة التى جاء بها ، وتسمية الصديقين من أصحابه والابرار من أنصاره بضد ما سماهم به الله ورسوله ، هم بعملهم هذا كانوا شرا على الإسلام وأهله من المستعمرين ، وهم منذ ألف سنة يخترون العملاق بما يفسد عليه عروبته وإسلامه ، وإن العروبة والإسلام ويقظة العملاق بهما فى حاجة ماسة إلى الدراسات الجامعية لتحقيق رسالة الإسلام ماهى ؟ وما هى أهدافها ؟ وما الذى دسه الطابور الخامس لإفساد أغراضها ؟ وكيف تخدر العملاق بذلك ففقد حيويته الأولى فى عصور الضعف التى مهدت الطريق للاستعمار ؟

إن هذا كله فى حاجة إلى دراسات جامعية تنصرف إليها مواهب أساتذتنا وشبابنا الجامعى ، ويتحرون لها المصادر السليمة اللائقة بالبحث العلمى والتمحيص المخلص ، ويتبرعون لها بالوقت الكافى لها بلا انقطاع ، إلى أن يعرف هذا العملاق حقيقة نفسه ، ومصادر قوته ، والغذاء المتواصل لحيويته ، ويومئذ تبعث هذه الأمة بعثا جديدا يكون فيه المجد لها والسعادة للانسانية إن شاء الله .

محب الدين الخطيب

مكتبتنا العربية

نفحات القرآن

— ٤٤ —

الوفاء فى نظر الاسلام

عماد النظام الاجتماعى

(يأيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود)

تمهيد :

١ — تجرى بين بعض الناس و بعضهم مبادلات مالية فى التعامل وعقود متنوعة مشروطة أو غير مشروطة فى البيع ، والإجارة ، والشركات ، والزواج ونحوها من شئون الحياة الاقتصادية والاجتماعية ، كما تجرى بينهم كذلك معاهدات دولية فى التجارة والسياسة والحروب والجوار : مما تمليه الحاجة ، ويتطلب الأمر فيه مؤازرة وتناصرا لتيسير الصعوبات ، و إدراك المقاصد .

٢ — وهناك عهود بين الله وعباده تعتبر عقودا منوطة بذمة الإنسان .

(ا) بعضها تشريعات من جانب الله سبحانه ، بين الله فيها حلاله وحرامه ، وحدد فيها حدوده التى أمر الناس بالوقوف عندها ، ونهاهم عن تجاوزها ، بل نهاهم أحيانا عن القرب منها : مبالغة فى صيانتها وعدم انتهاكها ، وخلق فيهم عقولا تفطن ، وتميز الخبيث من الطيب ، وألزمهم أن يفقهوا بها ، وأن يتخيروا لأنفسهم ، ويطيعوه فيما دعاهم إليه .

فكانت هذه التشريعات — وما يقترن بها من دعوة العقول إلى تلقيها بالقبول ، وما تهيأت له العقول من إدراك وتمييز وقبول — بمثابة العهد أو العقد بين الله والناس .

(ب) و بعض هذه العهود (بين الله والناس) من ناحية الإنسان نفسه : كأن يتعهد المرء بعمل طاعة من الطاعات فيما يسمى نذرا ، أو يعاهد غيره على المشاركة فى عمل مبرور :

كبناء مسجد ، أو مقاتلة عدو لله ولدينه ، أو نحو ذلك مما يعد طاعة دينية . . وهذه أيضا عهود ، أو عقود منوطة بذمة الإنسان كما ألزم نفسه . . فحديثنا الآن ذو جانبين : أحدهما عقود دنيوية تكون بين بعض الناس والبعض . . وثانيهما عهود دينية وهو ما بين الله وعباده : سواء أكان من ناحية التشريع الدينى ، أم كان من ناحية إلزام المرء نفسه بعمل دينى .

٣ — وما دام الدين لمصلحة الناس . . وما دام التعاقد المشروع لدنياهم مستمدا من جانب الدين وتشريعاته : فلا حرج أن نعتبر الحديث عن العقود والعهود — مهما تنوعت — سياقا واحدا ليس فيه جانب وجانب ، إذ الدين لإصلاح الدنيا ، والدنيا لتمام الدين ، والقيام بالتزاماته .

وعلى أى نحو كان توجيه الحديث : فالله تعالى يلقى علينا أمره بالوفاء بالعقود فى قوله سبحانه : « يأيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود » .

وهذا أمر شامل لكل ما بيننا من عقود مشروعة ، ولكل ما نلتزمه لله من عمل مبرور ، ولا تخرج منه التشريعات المدنية الوضعية التى لا تحل حراما ولا تحرم مباحا ؛ فالدين يقرها .

٤ — ومعروف أن التعاقد أو التعهد لم يقصد منه غير تحقيق مصلحة مستساغة ، وأن التخلف عن الوفاء بهذا الالتزام يهدم ثقة الناس ببعضهم ، ويهون عليهم التلاعب فى تعاملهم ، ويعرض مشروعاتهم الحيوية للفشل ، ويشيع الفوضى بينهم . .

وتجارب الناس فيما وقع بينهم ، وما طرأ على تعاملهم من آثار طيبة للوفاء ، وآثار كريهة للخديعة والغدر : كل ذلك يساعد على إدراك حكمة الله فى أمره هذا ، وعنايته سبحانه بجلب المصالح لهم ، ودفع الأضرار عنهم « يريد الله بكم اليسر ، ولا يريد بكم العسر » .

وفى الحق : ان اضطراب المعاملات ، وتشعب الخصومات ، وزعزعة الأمن ، وأكثر ما ينتاب الأسر من تصدع ، وما ينقض النظام الفردى والجماعى ، وما تزدحم به دور القضاء ، وما تسفك بسببه الدماء ، وما تنشب من أجله الحروب : كل ذلك فى واقع الحال أو فى أغلب الأحوال ناجم عن التنصل من الوفاء ، والتلاعب بالعقود ، والخيس

مكتبتنا العربية

بالعهود ، طواعية للأنانية ، أو غرورا ، أو استخفافا بالعاقبة ، أو تململا من النظام ، وجنوحا إلى الفوضى ، وتهافتا على المظالم والتهام الحقوق .

٥ — ولم يستقم شأن الناس فيما جرت به الحياة يوما على الغدر وعدم الوفاء ، وإن التاريخ ليحدثنا عن آثار ذلك فيما وقع بين أفراد ودول ، وفى كتب الأدب قصص واسع ، وأمثلة كثر ، لما أحدثه إهدار الناس للوفاء بعقودهم ومعاهداتهم ، وفى حياتنا الحاضرة أوضح الشواهد لما نقوله عن الغدر بالعقود .

ولما كان الناس لا يتنبهون دائما إلى تجاربهم ، ولا يتعظون بما جرى على غيرهم ، كان للقرآن توجيهات أكيدة ، وأوامر شديدة : بالحث على الوفاء حتى مع الخصوم والأعداء المحاربين ، ذلك : لأن الوفاء — فى ذاته ، وفضلا عن منافعه — خلق كريم ، وشعار للمروءة والنبل ، إذ هو صدى للضمير الحى ، ومرآة للنفس الأبية ، وتلك شمائل يوحى بها الإيمان ، ولا تستقر إلا حيث يستقر الإيمان فى قلب خلص من شوائب النفاق ، وبرئ من خدع الضلالة ، وألاعيب الضالين . . وإن تكن هناك أمثلة للوفاء من غير مؤمن فهى كثوب الرياء لا تلبث أن تشف عما تحتها ، أو هى كالثلج تحت وهج الشمس لا يعيش طويلا .

٦ — ومن أجل ذلك ترى خطاب الله لعباده فى مقام الدعوة إلى الوفاء بقوله سبحانه : « يأيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود » وفى هذا إشعار فى قوة المنطق الصريح بأن الوفاء من مظاهر الإيمان ، وأن أهل الوفاء هم المؤمنون ، وأن المؤمنين حقا جدير بهم ألا يفوتهم الوفاء بما تعاقدوا عليه ، إذ المفروض أن المؤمن بربه مؤمن بتعاليمه ، ومؤمن بشخصيته ، وأنه مستجيب لكل ماهو من مقتضيات الإيمان . . فجاء الخطاب مطابقا لتلك الصفات . . وأما خطاب غير المؤمن والتعميم فى دعوته إلى الوفاء فغير ذى جدوى .

٧ — وطبيعى أن الوفاء المطلوب لا يتعدى العقود المستساغة التى أذن بها الشرع نصا ، والتى تتمشى مع ما يحدث من مصالح الناس دون مناهضة للدين ، ولا امتزاج بالأباطيل . . وعلى ذلك يكون التعاقد على محرم ، أو التعهد بمحظور ، أو التعرض لما يتنافى مع المصلحة التى توائم توجيهات الإسلام ، خارجا عن السياق الذى نحن بصدده ، وليس الوفاء به من مقاصد الأمر الذى نحن بسبيله ، بل هو من المنهيات ، وفى حيزها ، والحظر أولى به .

لذلك نرى القرآن الكريم يردد الأمر بالوفاء فى صيغ عدة ، مكتفيا بالإجمال ،

مكتبتنا العربية

ومعتمدا على أن الوفاء بالأمور الحلال هو المقصود ، وأن تخصيصه بذلك أمر مفروغ منه ، إذ لا حاجة إلى استثناء المحظورات ، فإنها بمعزل عن الطلب ، وعن الترغيب فيها ، وذلك بدهى ، فانظر مثلا إلى الآية التى معنا : والأمر فيها : « أوفوا بالعقود » وأى عقود هذه ؟ ؟ هى العقود التى تتعلق بها مصالح الناس ، وليس فيها منافاة لمقصد الشريعة .

ثم يفصل بعضها فى ذكر ما أباح وما حرم : من بهيمة الأنعام ، وصيد الحرم للمحرم وغير المحرم ، وتحريم المنخنقة ونحوها .

وفى آية أخرى يقول سبحانه : « وأوفوا بالعهد إن العهد كان مسئولا » وأى عهد هذا ؟ ؟ هو ما يكون بين الناس من عقود ، وما يكون بينهم وبين الله من عهود ، فإن كلها منوط بالذمة .

ويقول : « وأوفوا بعهد الله إذا عاهدتم ولا تنقضوا الأيمان بعد توكيدها ، وقد جعلتم الله عليكم كفيلا » .

ويمتدح المؤمنين فيذكرهم بقوله : « والموفون بعهدهم إذا عاهدوا » ويقول : « وأوفوا بعهدى أوف بعهدكم » .

وهكذا ترى الكتاب العزيز حاثا فى مواطن كثيرة على الوفاء ، وزاجرا : صراحة أو ضمنا عن الخديعة ، والمكر ، والغدر

فالوفاء جميل ، والله يحب كل خلق جميل ، وهو من الكمال ، والله يحب الكمال ، وقد وصف نفسه تعالى بأنه لا يخلف الميعاد ، وأنه لا يخلف وعده ، وليس أحب إلى النفس المؤمنة من التخلق بأخلاق الله ، وقد حفلت الكتب بذكر الموفين بعهدهم ولو كان فيها حتفهم ، فكانت ذكرياتهم خالدة .

والخلف نقيصة خلقية فى ذاته وفى نظر الإسلام بداهة ، وربما جرت هذه النقيصة إلى سوء الظن بالإسلام نفسه عند من يقيسون الإسلام بمقياس أعمالنا ، ويعتبرون أعمال المسلم وخلقه صورة لدينه ، وتفسيرا لتعاليمه .

فضلا عما يجر إليه الغدر ، والنكوص عن الوفاء : من ضعف الثقة بين الناس ، وشيوع التهمة فى المتعاقدين ، وعدم الاطمئنان إلى التعاقد بينهم ، وهذه ظاهرة تتهدد نظام التعامل ، وتزعزع حياة المجتمع ، وتقوض أركان الاقتصاد .

مكتبتنا العربية

ومن كان كذلك أو سببا فى شىء من ذلك فهو كما أسلفت حجة على الدين ، وهو مطعن على المسلمين .

ومن أجل هذا تنصل النبي صلى الله عليه وسلم ممن يكون فى هذا الموقف وعلى تلك الشاكلة ، فقال : من أعطى الدنية من نفسه فليس منا » يعنى من ظهر بمظهر الخسة ، وكشف عن حطة فى خلقه ، فهو فى غير عداد المسلمين .

وهذا ينطبق على كل متحال من خلق الإسلام ، ونابذ لمحامده : وفيها ما فيها من مياسم المجد ، وكمالات الإنسانية ، وأمارات النبل التى تغتبط بها النفس الزاكية ، وتعتز بها الجباه العالية ، والإسلام دائما يطلب إلى أهله أن يكونوا مثلا كريمة . .

فليكن الوفاء من مبادئنا ولو كان مع من لا نحب ، فأن الحق حق وإن أشاح عنه أناس وهو شريعة الله . . وإن الباطل باطل وإن انضوى إليه كثيرون ، وهو فتنة الشيطان ، ومفسدة الحياة ، ومهزلة التاريخ .

نقول هذا والعالم كله يشهد انتقاض الدول الاستعمارية على مصر لاحتفاظها بحقوق مشهود بها فى عقود قائمة ، ولحرصها على الوفاء بتلك العقود مع استعدادها لكل اتفاق يطمئنهم على وفائها دائما ، كما عاشت وفية حتى مع هضم حقوقها زمنا طويلا .

ولكن الغرب يستمرئ ظلمها ، ويخيس بالمعاهدات . والله معنا ، والعصمة من الله ؟

عبد اللطيف السبكى

عضو جماعة كبار العلماء

ومدير التفتيش بالأزهر

أصدق ما وصفت به المرأة

فى مسند الامام أحمد (٢ : ٤٤٩) من حديث أبى هريرة أن النبى صلى الله عليه وسلم قال :

« لا تستقيم لك المرأة على خليقة واحدة ، إنما هى كالضلع : إن تقمها تكسرها ، وإن تتركها تستمتع بها وفيها عوج » .

السنة

الاقتصاد فى الموعظة

أشبه النـاس بخاتم النبيين ـ إمام مدرسة نبوية ـ الوعظ والتذكير والقصص ـ من القصص محمود ومذموم ـ آفة الدعاة والدعوة ـ خـير المذكرين والواعظين ـ حى على الجهاد ـ حى على العمل .

عن أبى وائل قال : كان عبد الله يذكر النـاس فى كل خميس ، فقـال له رجل : يا أبا عبد الرحمن، لوددت أنك ذكرتنا كل يوم، قال : أما إنه يمنعنى من ذلك أنى أكره أن أملكم، وإنى أتخولكم بالموعظة كما كان النبى صلى الله عليه وسلم يتخولنا بها، مخافة السآمة علينا.

رواه الشيخان ، واللفظ للبخارى .

* * *

أبو وائل : كنية شقيق بن سلمة الأسدى الكوفى ، أحـد سادة التابعين وكبارهم ، أدرك زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يره ، وروى عن خلفائه الأربعة وغيرهم من كبار الصحابة رضى الله عنهم ولا سيما عبد الله بن مسعود، فقد أكثر من الرواية عنه ، حتى قال عمرو بن مرة قلت لأبى عبيدة بن ابن مسعود: من أعلم أهل الكوفة بحديث أبيك ؟ قال شقيق : وروى عنه الجم الغفير من التابعين ، واتفقوا على ثقته وجلالته .

* * *

أما عبد الله : فهو ابن مسعود بن غافل الهذلى، وكنيته أبو عبد الرحمن، وأمه أم عبد من هذيل أيضا أسلمت وهاجرت فهو صحابى ابن صحابية . . أسلم عبد الله قديما حين أسلم سعيد بن زيد قبل عمر بن الخطاب رضى الله عنهم ، وقال لقد رأيتنى سادس سـتة ما على

مكتبتنا العربية

الأرض مسلم غـيرنا . . وهاجر إلى الحبشة ثم إلى المدينة ، وشهد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بدرا وأحدا والخندق وبيعة الرضوان والمشاهد كلها . . ومن أخباره بعد النبي صلى الله عليه وسلم أنه شهد فتوح الشام ، وسيره عمر إلى الكوفة وكتب إلى أهلها بعثت إليكم عمارا أميرا ، وعبـد الله بن مسعود معلما ووزيرا ، وهما من النجباء من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن أهل بدر، فاقتدوا بهما وقد آثرتكم بعبد الله على نفسي.

لازم النبي صلى الله عليـه وسلم وكان حارسه وصاحب وسادته وسواكه ونعله، قال أبو موسى الأشعري رضي الله عنه : قدمت أنا وأخي من اليمن فـمكثنا حينا وما نرى ابن مسعود وأمه إلا من أهل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، من كثرة دخولهم عليه ولزومهم له ، فلا عجب بعد ذلك أن يكون أشبه الناس بخاتم النبيين صلوات الله وسلامه عليهم ، في هديه وسمته . . ثم لا عجب أن يكون إمام مـدرسة من مدارس النبوة التي أخرجت أئمة علم وهدى ، ملئوا الدنيا هـداية ونورا ، ممن أعز الله بهم الإسـلام ، وهدى بهم إلى دار السلام .

«ومن عجيب الحـكمة أنه كان سادس ستة في الإسلام أولا ، وكان واحدا من ستة في العلم ثانيا ، وكان أستـاذ أئمة ستة في الـكوفة آخرا . . . أولئك الذين خلفوه بحركة كبيرة في العلم صارت تتوارث حتى توجت بأبي حنيفة تلميذ حماد ، تلميذ النخعي ، تلميذ علقمة ، تلميذ عبد الله بن مسعود » (*) .

* * *

هذه العجالة العاجلة ، من ترجمة زاخرة حافلة ، تدلنا فيما تدل على أن ابن مسعود رضوان الله عليه ، كان أمة هاديا ، ونورا ساريا ، وبحرا فياضا ، لا يحبس علمه ونوره على يوم الخميس من أيام الأسبوع فحسب ، وأكبر العلم أنه لو أراد ذلك لغلبه هديه ، ولتفجرت ينابيع علمه في كل يوم على الرغم منه . . وإنمـا هو يوم اختاره للوعظ والتذكير ، تزكية للنفوس ، وتطهيرا للقـلوب ، إلى بقية أيام الأسبوع الست التي كان يوالي فيها مدرسته بالتعليم والفتوى ، وبيان الأحكام واستمدادها من كتاب الله تعـالى وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم .

(*) قبسة من « تراجم إسلامية جليلة لـكبار الصحابة والتابعين » بقلم زميلنا العالم الـكاتب الأستاذ النواوي ، جعلناها مسك الختام لهذه العجالة .

مكتبتنا العربية

والوعظ والتذكير شعبتان عظيمتان من شعب الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر والدعوة إلى الله عز وجل ، وهما من وظائف الأنبياء والمرسلين ومن تبعهم باحسان إلى يوم الدين .

* * *

والوعظ والتذكير والقصص ، ثلاثتهن متجاورات فى الذكر والمعنى ، ولم نر من كشف اللثام عنهن إلا الإمام الخطابى فى معالم السنن عند رواية أبى داود لحديث عوف بن مالك الأشجعى رضى الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « لا يقص إلا أمير أو مأمور أو مختال » نقل هنالك أن المتكلمين على الناس ثلاثة أصناف : مذكر وواعظ وقاص :

فالمذكر الذى يذكر الناس آلاء الله ونعماءه ويبعثهم بذلك على الشكر له .

والواعظ يخوفهم بالله وينذرهم عقوبته فيردعهم بذلك عن المعاصى .

والقاص هو الذى يروى لهم أخبار الماضين ويسرد عليهم القصص ، فلا يأمن أن يزيد فيها أو ينقص ، والمذكر والواعظ مأمون عليهما هذا المعنى .

* * *

ولا يتسع المجال هنا لبيان مساوئ القصاص ، وما أدخلوه فى قصصهم من أكاذيب وغرائب ، يغزون بها قلوب الدهماء ويستهوون بها أفئدتهم ! ! وحسبنا أن القصص المحمود ماحمده الله ورسوله ، وأن القصص المذموم ما ذمه الله ورسوله . . ولا ريب أن أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم وتابعيهم باحسان لم يصدروا ـ ولن يصدروا ـ فيما يقصون ويعظون إلا عن بينة من الله ورسوله .

أما أولئك الذين يهرفون بما لايعرفون ، ويكذبون على الله وعباده وهم يعلمون أو لا يعلمون ، فهم من المختالين الذين عناهم الحديث المروى عن أبى داود آنفا ، وأولئك هم آفة الدعوة إلى الله ، وشر عليها فى كل زمان ومكان ! !

* * *

وإذا كان عبد الله رضى الله عنه أشبه الناس برسول الله صلى الله عليه وسلم هديا وسمتا ، فلابد من حكمة لإيثاره يوم الخميس بالوعظ والتذكير ، فأما رأى النبى صلى الله عليه وسلم

مكتبتنا العربية

يؤثره . وإما لأنه تمهيد ليوم الجمعة ، خير يوم طلعت عليه الشمس ، ادخره الله لنا وهدانا إليه . .

كان أهل هذا المجلس : مجلس الوعظ والتذكير ، ينتظرونه أحيانا ليستزيدوا من وعظه وتذكيره ، حتى قال قائل منهم ـ وهو يزيد بن معاوية النخعي الكوفي التابعي العابد الثقة ـ : يا أبا عبد الرحمن ، إنا نحب حديثك ونشتهيه ، ولوددنا أنك حدثتنا كل يوم ، فقال إني أخبر بمكانكم ، وما يمنعني أن أحدثكم كل يوم كما تشتهون إلا كراهة أن أملكم ، وإن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يتخولنا بالموعظة في الأيام كراهية السآمة علينا .

والتخول بالموعظة والتحول والتخون بها ـ وبكل من الثلاثة روى الحديث ـ هو التعهد ، وطلب أحوال النشاط فيها والارتياح إليها ، وذلك أدعى للانتفاع بها ، والتأثر بآثارها .

* * *

نعم كان عمل النبي صلى الله عليه وسلم ديمة ، وكان أحب الأعمال إليه ما داوم عليه صاحبه وإن قل ، وكان يكره أن يمل العبد نفسه في العبادة أو يضجرها ، فأذا أمل غيره أو أضجره فانه ـ ولا ريب ـ أشد لذلك كراهية . .

غير أن الدوام في كل شيء بحسبه ، يختلف باختلاف مكانه من الدين وطلبه ، قولا كان أو فعلا ، فرضا كان أو نفلا ، وللنفوس وأحوالها ، وللأوقات وتقلبها ، وللهمم واختلافها ، لكل أولئك آثار لا تنسى . . .

وخير المذكرين والواعظين من يعرف طبائع النفوس ، وأنها مجبولة على السآمة والملال ، وحب الانتقال من حال إلى حال ، فيرشدها ويدعوها ما توسم فيها نشاطا وإقبالا ، ويخفف عنها ويوجز ما تفرس فيها فتورا وكلالا ، ولأن يقوم عن أهل مجلسه وهم مشتاقون ، خير من أن يدعوهم وهم ساأمون .

على هذا المنهج السمح الكريم ، سار في دعوته وهديه إمام الهادين والمرشدين ، من بعث بالحنيفية السمحة بشيرا ونذيرا ، وداعيا إلى الله باذنه وسراجا منيرا .

أما بعد ، فهل كانت دعوتنا إلى القصد في القول إلهاما من العليم الخبير عز وجل ؟ ! ذلك بأنه عز أثرها أغار على الكنانة عدو الله والوطن ، فأجبنا مناديه ينادي : حي على الجهاد ، حي على العمل ؟

طه محمد الساكت

[٢]

مكتبتنا العربية

المؤمن الحق

ذهب جمهور المحققين من العلماء إلى أن الإيمان هو التصديق بما علم مجيء النبي صلى الله عليه وسلم به ضرورة : تفصيلا فيما علم تفصيلا ، وإجمالا فيما علم إجمالا ، فهو عندهم من المنقولات الشرعية عن المعنى اللغوى لكن بحسب المتعلق فقط دون المعنى ، ولذلك لما سئل النبي صلى الله عليه وسلم عن الإيمان قال : « الإيمان أن تؤمن بالله وملائكته » الحديث ، فلم يزد عليه الصلاة والسلام على أن جاء بالمتعلق وهو قوله بالله الخ ، وعبر بقوله أن تؤمن للاشارة إلى أن الإيمان الذى جاء به هو الإيمان الذى يعرفون معناه فى لغتهم وهو التصديق وزيد عليه هذا المتعلق أو هذا القيد .

والمراد بالتصديق قبول النفس للحكم والرضى به لا مجرد الإذعان به الذى هو التصديق المنطقى فان هذا حاصل للكفار . ألا تسمع إلى قوله تعالى فى شأنهم : « يعرفونه كما يعرفون أبناءهم » وإلى قوله : « وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلما وعلوا » . ولذلك عرف بعضهم الإيمان بأنه حديث النفس المتابع للمعرفة ، أى قول النفس : رضيت وآمنت ، بعد معرفة ما رضيت به . ولعلك عرفت مما بيناه لك أن لغة العرب تعنى من الإيمان مطلق التصديق ، أما الإسلام فتعنى به التسليم والاستسلام .

وللتصديق الذى هو الإيمان محل خاص وهو القلب بدليل قوله تعالى : « وقلبه مطمئن بالإيمان » وقوله : « أولئك كتب فى قلوبهم الإيمان » . وأما التسليم فهو عام فى القلب واللسان والجوارح ، فيكون الإسلام من حيث محله أعم من الإيمان ، والإيمان من حيث محله أشرف أنواع التسليم .

وقد ورد الشرع الشريف باستعمال الإيمان والإسلام مترادفين و باستعمالها متخالفين و باستعمالها متداخلين ، و يشهد للترادف قوله تعالى : (فأخرجنا من كان فيها من المؤمنين ، فما وجدنا فيها غير بيت من المسلمين) وقد أجمع العلماء على أن البيت فى هذه القصة واحد غير متعدد ، و يشهد له قول النبي صلى الله عليه وسلم : « بنى الإسلام على خمس : شهادة أن لا إله إلا الله ، وأن محمدا رسول الله ، و إقام الصلاة ، و إيتاء الزكاة ، والحج ، وصوم رمضان » مع قوله لوفد عبد القيس كما أخرجه البيهقى فى الاعتقاد من حديث ابن عباس رضى الله عنهما : « تدرون ما الإيمان ؟ شهادة أن لا إله إلا الله ، وأن محمدا رسول الله ، وأن تقيموا الصلاة ، وتؤتوا الزكاة ، وتصوموا رمضان ، وتحجوا البيت الحرام » قال الغزالى رضى الله عنه : « وعند الترادف يجعل الإسلام عبارة عن التسليم بالقلب والظاهر جميعا أى اللسان والجوارح

مكتبتنا العربية

فان كل ذلك تسليم ، ومعنى هذا أنه يبقى على حاله من العموم ويتصرف في الإيمان بما يجعله عاما مثله حتى يكون مرادفا له ، فيتصرف فيه بادخال الظاهر في معناه لأن تسليم الظاهر بالقول والعمل ثمرة التصديق الباطن ونتيجته فكأنه منه كما يطلق اسم الشجر مثلا ويراد منه الشجر مع ثمره على سبيل التسامح ، ويشهد للتخالف قوله تعالى : « قالت الأعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا ولما يدخل الإيمان في قلوبكم » ويشهد له أيضا قول النبي صلى الله عليه وسلم لجبريل لما سأله عن الإيمان : « أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وبالبعث بعد الموت وبالحساب وبالقدر خيره وشره » مع قوله عليه الصلاة والسلام له لما سأله عن الإسلام «شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله» إلى آخر الخصال الخمس ، وورد في الحديث عن سعد أنه صلى الله عليه وسلم أعطى رجلا عطاء ولم يعط الآخر فقال له سعد : يارسول الله تركت فلانا لم تعطه وهو مؤمن ؟ فقال له صلى الله عليه وسلم : «أو مسلم ؟» فأعاد عليه فأعاد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فكل هذا يشهد للاختلاف . قال الغزالي : فيجعل الإيمان عند التخالف عبارة عن التصديق بالقلب فقط ، والإسلام عبارة عن التسليم ظاهرا أي باللسان والجوارح فقط ، واللغة لا تأبى ذلك فان التسليم ببعض خصال التسليم يطلق عليه اسم التسليم فليس من شرط حصول الاسم عموم المعنى لكل محل يمكن أن يوجد المعنى فيه فان لمس غيره في بعض بدنه يسمى لامسا ويسمى ذلك ملموسا وان لم يستغرق اللمس جميع بدنه .

ويشهد للتداخل ما روى أنه صلى الله عليه وسلم سئل فقيل له : أي الأعمال أفضل ؟ فقال صلى الله عليه وسلم : « الإسلام » فقيل له : أي الإسلام أفضل ؟ فقال صلى الله عليه وسلم : « الإيمان » فقد جعل صلى الله عليه وسلم الإيمان جزءا من الإسلام .

وعلى هذا فيجعل الإسلام تسليما بالقلب وباللسان والجوارح ، والإيمان التصديق بالقلب فقط ، وكل هذه الاستعمالات مما تستسيغه اللغة ولا تأباه .

قد علمت أن الإيمان عند جمهور المحققين هو التصديق بما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم ، وهذا التصديق هو مناط الأحكام الأخروية عند أكثرهم ، لأنه هو المقصود من غير حاجة إلى إقرار أو غيره ، فمن صدق بقلبه ولم يقر بلسانه ولم يعمل بجوارحه كان مؤمنا شرعا عند الله تعالى ومقره الجنة إن شاء الله (ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة إنك أنت الوهاب) .

وإلى اللقاء إن شاء الله .

محمد الطنبخي
عضو جماعة كبار العلماء
ومدير عام الوعظ والإرشاد بالجمهورية المصرية

مكتبتنا العربية

مذاهب ومذاهب

من خصائص العقل البشرى أنه لا يفتأ يفكر ويبدع ، ومحال أن يسكن عن التفكير أو يكف عن الإبداع ، وهذه الحركة الفكرية الدائمة أساس العلوم التى تفرعت وتشعبت وملأت الدنيا حضارة وعمرانا ، وأفاضت على البشرية رفاهية ورخاء . وتاريخ العالم سلسلة متصلة الحلقات من القواعد والنظريات العلمية التى تتدرج فى الإتقان والتجويد ويقوم بعضها على بعض، ويكمل بعضها بعضا ، ويكون السابق منها مقدمة للتالى، ثم تأتى النتائج الباهرة ، فتنعم الإنسانية بما فيها من خير ومتاع .

ومن يقس حال العالم اليوم بما كان عليه فى فجر التاريخ يستبن له فضل العقل البشرى ومقدار ما قطعه من أشواط وما أنفقه من مجهودات حتى وصل إلى ماهو عليه من مدنية وحضارة ، وإذا صح القياس كان مثل حال العالم اليوم وحاله قديما مثل طفل يحاول النهوض فيتعثر وينكب ثم لا يلبث أن تشتد قدماه فيمضى فى طريق الكمال بقوة ونشاط .

وفى تاريخ الفكر البشرى نظريات وقواعد علمية ومذاهب مختلفة اقتصادية وسياسية واجتماعية ما زال كثير منها يفيض قوة وحيوية ، ويستطيل على التاريخ بقاء وخلودا ، وما زالت يتداولها الناس ويتوارثها الخلف عن السلف تراثا كريما يحرص عليه ويباهى به ويستغله ويثمره ويضيف إليه ما عساه أن يستنبطه ويكتشف عنه ، ويرى من واجبه أن يذكر بالتبجيل والتقدير أولئك الذين أورثوه علوما قامت عليها حضارة يجنى العالم ثمارها وينعم بآثارها .

وفى تاريخ الفكر كذلك قليل من المذاهب الفاسدة التى ما استهلت حتى ماتت ، وما استقامت على التمحيص وماثبتت فائدتها على التجربة ، وأورثت أصحابها اللعنة الدائمة والمقت الشديد ، وصارت هى وأصحابها مثلات على الضلال الفكرى والطيش العقلى ، ذلك أنها مذاهب لم تساير الفطر ولم تستلهم الأديان ولم تساوق التقاليد الفاضلة ولا الأعراف الطيبة ، وإنما استمدت من الغرائز الحيوانية ، وقامت على البواعث الشهوية ، فنشأت على أساس غير كريم ، فلم يقر لها قرار ، ودارت عليها وعلى أصحابها دائرة البوار ، وكانت باللوثات

العقلية أشبه منها بالمذاهب والنظريات العلمية ، وكان أصحابها بالملقنين والمخلطين أشبه منهم بأصحاب المذاهب ، واحتفظ التاريخ بها احتفاظه بالنادر البغيض والشاذ المقيت .

أما المذاهب الصحيحة فى سائر نواحى الحياة سواء أكانت سياسية أو اقتصادية أو اجتماعية ، فهى المذاهب التى تلائم الفطر السليمة وتسكن إليها النفوس الكريمة وتقرها قواعد السلوك القويمة ، وهى جديرة بالدراسة الدائمة والتفهم الرشيد ، وأن يستوعب الناشئون والمتعلمون أكثر ما يمكن منها ، وحق على المجتمع أن يتذاكر بالفخر والثناء أصحابها ويشيد بمآثرهم ومناقبهم كفاء ما أسدوه إلى المجتمع البشرى من خير ورخاء .

ليست كل فكرة تستحق أن تسمى مذهبا يشتغل الناس بدراسته ، ويستحق أن يسمى صاحبها مفكرا أو فيلسوفا أو صاحب رأى ، ولو صح ذلك لذهب بهذا الفخر أكثر المجانين فى المستشفيات العقلية ، بل لصح أن يسمى من يخلع ثيابه ويعدو فى الطريق على هيئته القبيحة صاحب مذهب أو مبدأ ، وذلك أحط درجات الوحشية .

إنما الذى يصح أن يسمى مذهبا أو طريقا ويسمى صاحبه صاحب مذهب أو رأى ، هو المذهب الذى يعود على المجتمع بالخير ولا يجافى الفضائل المتفق عليها ولا ينافى العقائد المسلم بصحتها . هذه هى المذاهب الجديرة بالاعتبار ، وبقدر ما يفيد المجتمع منها تكون حياتها ومنزلتها ويكون العمل بها والحرص عليها .

والآراء التى ينعق بها أصحابها الآن كالوجودية والإلحادية وما إليها ويحاولون عبثا نشرها بين الشباب وفى بعض معاهد العلم ، ويستعينون ببعض الصحف وبعض الأشخاص على ترويجها ، ليست مذاهب أو مبادئ ، ومن الظلم للحق وللعلم أن نسميها كذلك ، وخطأ كل الخطأ أن نصف أصحابها بأنهم أصحاب مذاهب ، لأن ذلك شرف كبير وفضل وفير غيرهم أحق به منهم ، ومن الخطأ كذلك أن ننظمهم فى سلك المخترعين المبتدعين وأرباب المذاهب الخالدة ، فنغمط هؤلاء حقوقهم ونخل أوائك ما ليس لهم ، والوصف الصحيح لهم واللائق بهم أن نسميهم ممخرقين أو ملقنين أو حيوانيين أو ما إلى ذلك مما يعبر عن جوهر دعاواهم ، فدعاواهم فى الحقيقة دعوة إلى الحيوانية فى أبشع صورها ، فما بين الإنسان والحيوان فى العرف العام إلا العقيدة الدينية الصحيحة والعمل بمقتضيات الفطرة والمروءة فى التصون والحفاظ على الأعراض والأخلاق .

هذا هو الفاصل بين الفريقين ، فاذا بدا لهؤلاء أن ينفصلوا عن إنسانيتهم بهذه المذاهب الفاجرة فلهم ما أرادوا، ولكن على أن يكون ذلك لهم وحدهم، وليس لهم أن ينشروا تلك المخازى وهذه العورات بين الشباب فى المعاهد والجامعات وعلى منابر الصحف والمجلات ، لأن ذلك اعتداء على الآداب العامة ودعوة إلى التحلل الخلقى يفضى إلى انهيار الأمة بانهيار شبابها ، وقد انهارت أمم قديمة وحديثة بمثل هذه المذاهب .

إن هذه المذاهب دعوة سافرة ـ مهما زيفت العبارة عنها ـ إلى الفساد والإباحية، وإن القائمين بها خارجون على الأديان والأخلاق والتقاليد والقوانين ، وهم مستحقون للمؤاخذة والمعاقبة ، تؤاخذهم الأديان السماوية ، والقوانين الوضعية ، مؤاخذة المجرمين الفوضويين ، وإن إرخاء العنان لهم مدعاة إلى التشكك فى القيم الخلقية التى استقر بناء المجتمع عليها ، وتحد لشعور المصريين جميعا مسلمين وغير مسلمين ، فالمصريون متدينون، يجرح شعورهم ويؤلمهم أشد الألم ما يمس مكان العقيدة من نفوسهم ، وفى الدولة حكومة متدينة رشيدة تحرص على احترام الشعور الدينى للمواطنين كما تحرص على احترام القوانين وصيانة الآداب والأخلاق ، ولن تسمح لأصحاب هذه الدعوات أن يعبثوا بمقدساتنا الدينية ومقوماتنا الأخلاقية ، وإليها يلجأ المصريون لتضرب على أيدى هؤلاء وتقى الشباب من آثار هذه الدعوات قبل أن يستفحل خطرها ويتفاقم شرها .

وإنها لمستجيبة إن شاء الله ما

أبو الوفا المراغى

ياعصبة الايمان

ياعصبة الإيمان كبر فيكم ... صوت البشير تحية استقلاله
هل جاءكم أن الحياة عزيزة ... قصوى كغرته وبعد منالله
ما ان تنالوها وإن قرب المدى ... بسوى الجهاد الحق تحت ظلاله
هذا الحمى ماباله فى عصركم ... وثبت ثعالبه على رئباله
إن الشباب حماته فى يومه ... ومؤمنوه غدا على آماله

محمد الهمياوى

مكتبتنا العربية

صفحات من البطولة

فى الاسلام

— ٢ —

فى مقال سبق تكلمت عن البطولة فى الإسلام، وقلت: إن البطولة المحمدية الفذة كانت مدرسة تخرج فيها الكثيرون من أبطال الحرب والرأى والسياسة . واليوم أتكلم عن هؤلاء الأبطال وهم صحابة الرسول الذين سطروا لأنفسهم صحائف المجد والخلود ، وضربوا فى باب البطولة الإسلامية مثلا عليا خالدة .

وأجل ما يصادفنا من البطولة الإسلامية موقف الصديق أبى بكر رضى الله عنه ، ذلك أنه لما توفى رسول الله ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ ارتد ناس من العرب ومنع بعضهم الزكاة ، فعزم على قتالهم جميعا ، فقال له عمر رضى الله عنه : كيف تقاتل من منع الزكاة ، وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله ، فان قالوها عصموا منى دماءهم وأموالهم إلا بحقه وحسابه على الله » فقال أبو بكر : « والله لأقاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة ، فان الزكاة حق المال ، والله لو منعونى عقالا كانوا يعطونه لرسول الله صلى الله عليه وسلم لقاتلتهم عليه ، ولو خذلنى الناس كلهم لجاهدتهم بنفسى . قال عمر : « فوالله ماهو إلا أن رأيت الله عز وجل قد شرح صدر أبى بكر للقتال فعرفت أنه الحق » . ثم كان من الصديق أن تقلد سيفه وخرج مجاهدا فلم يجدوا بدا من الخروج على أثره . وهذا غاية الشجاعة والإقدام .

وكان مما قاله الفاروق عمر رضى الله عنه « تألف الناس وارفق بهم فأنهم بمنزلة الوحش» فقال له أبو بكر رضى الله عنه : « رجوت نصرتك وجئتنى بخذلانك ، أجبار فى الجاهلية خوّار فى الإسلام ؟ قد انقطع الوحى وتم الدين ، أينقص وأنا حى ؟ والله لأجاهدنهم ما استمسك السيف فى يدى » .

ولقد عرف الصحابة رضوان الله عليهم للصديق هذا الموقف الخالد ، فكان يقول عمر رضى الله عنه : « والله لقد رجح إيمان أبى بكر بايمان هذه الأمة فى قتال أهل الردة » وكان ابن مسعود رضى الله عنه يقول : « لقد قمنا بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم مقاما كدنا نهلك فيه ، لولا أن من الله علينا بأبى بكر ، أجمعنا على أن لانقاتل على ابنة مخاض

مكتبتنا العربية

وابنة لبون ونعبد الله حتى يأتينا اليقين ، فعزم الله لأبي بكر على قتالهم ثم اتفق الصحابة كلهم على قتالهم واستصوبوا ما رآه أبو بكر رضى الله عنهم جميعا » . وهكذا نجد أن الصديق أبا بكر ـ وهو الضعيف فى جسمه القوى فى دينه العظيم فى نفسه ـ وقف موقفا لم يقفه أحد من أصحاب الأجسام القوية والشجاعة المشهورة .

ولقد كانت غزوة بدر الكبرى من المشاهد المشهورة التى ضرب فيها الصحابة أروع مثل التضحية والشجاعة ، لقد كان لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : « والذى نفسى بيده لا يقاتل اليوم رجل فيقتل صابرا محتسبا مقبلا غير مدبر إلا أدخله الله الجنة » من إذكاء الروح المعنوية و إلهاب الحماسة ما يفوق كل دعاية ، فلا عجب أن قال عمير بن الحمام رضى الله عنه و بيده تمرات يأكلها : « بخ بخ ، ما بينى و بين أن أدخل الجنة إلا أن يقتلنى هؤلاء » ثم قال : « لئن بقيت حتى آكل تمراتى هذه إنها لحياة طويلة » وقذف بالتمرات من يده ، وما زال يقاتل حتى استشهد وأرضى الله ورسوله وأرضى نفسه وعقيدته . و إن قوما يستطيل أحدهم مدة يأكل فيها تمرات تبعده عن شرف الشهادة لقوم جديرون بالنصر والظفر ، و إن قوما يحرصون على الموت فى سبيل الله أشد من حرصهم على الحياة لابد أن تكتب لهم العزة والسلطان مهما قل عددهم وكثر عدد عدوهم .

وهذا ما كان فى هذه الغزوة فقد التقى فيها ثلثمائة و بضعة عشر رجلا ـ مع عوز فى السلاح والظهر ـ بثلاثة أضعافهم من المشركين المزودين بالعتاد والدروع المسردة والخيول المطهمة ، فاذا الغزوة تنجلى عن انتصار الفئة القليلة المؤمنة على الفئة الكثيرة الكافرة ، وغلبة الحق على الباطل ، إن الباطل كان زهوقا .

وهل ينسى التاريخ بطولة السادة الأمجاد أبى بكر وعمر وعثمان وعلى فتى الفتيان وحمزة أسد الله وسيد الشهداء والزبير بن العوام والمقداد بن الأسود وطلحة بن عبيد الله رضى الله عنهم وغيرهم ممن لا يحصيهم العد والذين حضروا المشاهد مع رسول الله وجعلوا أنفسهم فداء له .

إن التاريخ ليذكر لهؤلاء مواقفهم الخالدة ، ويذكر أبا دجانة صاحب عصابة الموت الذى صال وجال فى أحد ، ولما انكشف المسلمون ترس على رسول الله فصار النبل يقع فى ظهره وهو منحن حتى كثر فيه ، ولم تشغله نفسه وجراحه عن حماية رسول الله والذود عنه .

مكتبتنا العربية

ويذكر أبا طلحة الأنصارى الذى دافع عن رسول الله فى هذه الموقعة دفاع الأبطال ، وكان رسول الله صلوات الله وسلامه عليه كلما نظر إلى القوم ماذا يفعلون يقول له : « يا نبى الله بأبى أنت وأمى لاتنظر يصيبك سهم من سهام القوم ، نحرى دون نحرك » .

ويذكر أنس بن النضر رضى الله عنه الذى اندفع يقاتل بشجاعة فائقة حتى استشهد ، وقد وجدوا بجسده بضعا وسبعين مابين ضربة بسيف أو طعنة برمح أو رمية بسهم ، حتى تغيرت معالم شخصه ولم تعرفه إلا أخته ببنانه .

ويذكر جعفر بن أبى طالب وما صنع فى غزوة مؤته ، لقد كان يحمل اللواء بيمينه فقطعت يمينه فتناوله بيساره فقطعت أيضا ، فاحتضنه بعضديه ، ولم يزل هكذا حتى عاجلته ضربة قاتلة فاستشهد بعد أن أرضى ربه ودينه ، وكان جزاؤه من الله الرضوان الأكبر ، وأن عوضه بيديه جناحين يطير بهما فى الجنة أنى شاء .

ويذكر حبيب بن زيد الأنصارى وابن السيدة نسيبه بنت كعب الأنصارية ، وكان مسيلمة قد ظفر به وهو مقبل من عمان إلى المدينة وأخذه أسيرا فقال له مسيلمة : أتشهد أنى رسول الله ؟ فيقول : لا أسمع . فيقول له : أتشهد أن محمدا رسول الله ؟ فيقول : نعم ، فيقطع منه عضوا . وكان كلما كرر عليه السؤال وأجاب بما أجاب قطع منه عضوا آخر حتى قطعه اربا اربا ومات شهيد عقيدته ، وأبت عليه بطولته أن يداهنه فى موقف تجيز له التقية أن يداهن فيه ما دام قلبه مطمئنا بالإيمان .

إن التاريخ ليذكر هؤلاء ويذكر أضرابهم الذين أبلوا بلاء حسنا فى حروب الردة والفتوحات الإسلامية فى بلاد فارس والروم والشام والعراق وإفريقية من أمثال بطل الأبطال سيف الله المسلول خالد بن الوليد وأمين هذه الأمة أبى عبيدة بن الجراح والمثنى ابن حارثة وعكرمة بن أبى جهل ويزيد بن أبى سفيان وعمرو بن العاص وسعد بن أبى وقاص وشرحبيل بن حسنة والقعقاع بن عمرو الذين جمعوا — إلى البطولة والشجاعة — الحنكة والدهاء والعبقرية الحربية فى تسيير الجيوش وتنظيمها والوصول إلى النصر من أقرب سبله مع الحرص على الرحمة والوفاء بالعهود وعدم الإسراف فى إراقة الدماء ما استطاعوا إلى ذلك سبيلا . ويرحم الله الصديق حيث قال فى بطل الأبطال خالد : « عقمت النساء أن يلدن مثل خالد » .

إن الحديث عن مواطن البطولة الإسلامية فى العصور الإسلامية المتتالية أمر يطول ، ولن يفى بذلك إلا أسفار ضخمة . وبحسبى أن أستعرض بعض هذه المواطن تمجيدا

مكتبتنا العربية

للذكرى وتلمسا للعبرة واستحثاثا للهمم والعزائم على الائتساء، ففى موقعة اليمامة كان جيش المسلمين أربعة آلاف وكان جيش مسيلمة أربعين ألفا من ذوى الشكيمة والبأس الشديد، وقد أبلى فيها المسلمون بلاء حسنا ولا سيما القائد المظفر خالد، فقد انكسرت فى يده فى هذا اليوم بضعة سيوف، وكان الحرب سجالا، حتى أنزل الله نصره على المسلمين فألجأوا بنى حنيفة إلى حديقة لمسيلمة تجمعوا فيها وتحصنوا خلف أسوارها وأغلقوا أبوابها، ومعهم رئيسهم الكذاب، فماذا صنع المسلمون؟ لقد رغب أحدهم وهو البراء بن مالك - أحد شجعان الأنصار والذى لم يعرف الفرار والإحجام - إلى إخوانه أن يرفعوه فوق السور، فرفعوه فى درقة فوق أسنة الرماح، وما أن علا حصن الحديقة حتى رمى بنفسه على الجموع الغفيرة، وما زال يقاتل على الباب حتى فتحه: فدخل المسلمون وأعملوا السيوف فيهم وقتل مسيلمة الكذاب، وبذلك تم النصر والظفر للمسلمين، وإن الإنسان ليعجب مما صنع البراء، ولئن كان البراء بطلا فقد كان فى بنى حنيفة أبطال، وكفى شاهدا على ما كانوا يمتازون به قولة خالد رضى الله عنه: «لقد شهدت عشرين زحفا فلم أرقو ما أصبر لوقع السيوف ولا أضرب بها ولا أثبت أقداما من بنى حنيفة يوم اليمامة» ولكن الإيمان يتغلغل فى القلب فيجعل من صاحبه قوة جبارة تسخر بما فى الحروب من أهوال وشدائد فى سبيل المثل العليا.

وفى موقعة اليرموك كان تعداد المسلمين أربعين ألفا وكان تعداد الروم مائتين وأربعين ألفا، وقد تجلت عبقرية سيف الله المسلول خالد فى هذا اليوم المشهود وتجلت بطولة المسلمين ودارت رحى الحرب الضروس بين جيشين غير متكافئين عددا وعدة، ولكن البطولة وقوة الإيمان صنعا صنيعهما، فقد حملت الروم على المسلمين حملة شديدة زحزحتهم عن أماكنهم فقال عكرمة بن أبى جهل: قاتلت النبى ثم أفر اليوم [1] ثم نادى: من يبايع على الموت؟ فبايعه أربعمائة من وجوه المسلمين وفرسانهم على الموت، وقاتلوا حتى أثخنتهم الجراح، فمنهم من قضى نحبه ومنهم من برأ من جراحه. وكذلك صنع غير هؤلاء صنيعهم، فلا عجب أن انجلت هذه الملحمة الكبرى عن نصر مؤزر للمسلمين وهزيمة ماحقة للروم.

وفى العصور الوسطى تألبت أوربة كلها على المسلمين لتشفى حقدا دفينا فى النفوس، وأذكى نار الحقد والضغينة القساوسة ورئيسهم بطرس الحاقد، ولكن قيض الله للاسلام البطل الخالد صلاح الدين الأيوبى وأمثاله من القادة المخلصين، فقادوا المسلمين وما زالوا يجاهدون حتى رد الله كيد الصليبيين فى نحورهم وهزمهم شر هزيمة، وحفظ أرض الإسلام من شرورهم وأرجاسهم.

---

(١) يريد ما حدث قبل إسلامه رضى الله عنه فقد أسلم بعد الفتح.

مكتبتنا العربية

وبعد ـ فيأيها المسلمون والعرب، ويا سلالة أولئكم الأبطال، أحيوا ما درس من البطولة الإسلامية، ولقنوا العالم اليوم دروسا فى العزة والكرامة وإباء الضيم والدفاع عن الأوطان وحماية الذمار، ولا تلقوا بالا لإرجاف المرجفين وتخذيل المخذلين، وضعوا نصب أعينكم قول الصديق: «احرص على الموت توهب لك الحياة». أما الجبناء الرعاديد فلا ينبغى أن يكون لهم مكان فى صفوف المسلمين والعرب المجاهدين، وبحسب هؤلاء قولة البطل الهمام الذى لم يهزم فى جاهلية ولا إسلام: «لقد شهدت مائة زحف أو زهاءها، وما فى جسدى موضع إلا وفيه ضربة بسيف أو طعنة برمح أو رمية بسهم، وها أنا أموت على فراشى كما يموت البعير، فلا نامت أعين الجبناء. وما من عمل أرجى من لا إله إلا الله، وأنا مترس بها» فاعتبروا يا أولى الأبصار ما

الدكتور
محمد محمد أبو شهبة
الأستاذ بكلية أصول الدين

حفيد خليفة ـ يعظ خليفة

كان عبد الله بن عبد العزيز العمرى (حفيد أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز) يسعى بين الصفا والمروة فى موسم الحج، وكان أمير المؤمنين هارون الرشيد ممن شهد الموسم ذلك العام، فأقبل الرشيد بموكبه يسعى، فالتقى سليل الأمويين بعظيم العباسيين. فلما رقى هارون درجات الصفا، هتف به ابن عمه حفيد عمر بن عبد العزيز:

ـ يا أمير المؤمنين، انظر بطرفك إلى البيت.

ولم يكن يومئذ بين الكعبة والمسعى تلك الجدران التى أقيمت فيما بعد. فالتفت أعظم ملوك الدنيا يومئذ إلى جهة الحرم المكى وأجاب مخاطبه قائلا: ـ قد فعلت.

فسأله العمرى: كم من الناس ترى؟

قال الرشيد: ومن يحصيهم إلا الله!

قال العمرى: ـ اعلم يا أمير المؤمنين أن كل واحد من هؤلاء يسأل فى القيامة عن خاصة نفسه، وأنت وحدك مسئول عن الجميع، فانظر كيف تكون...

فبكى هارون بكاء لم يبك مثله فى حياته.

مكتبتنا العربية

وبعد ـ فيأيها المسلمون والعرب، ويا سلالة أولئكم الأبطال، أحيوا ما درس من البطولة الإسلامية، ولقنوا العالم اليوم دروسا فى العزة والكرامة وإباء الضيم والدفاع عن الأوطان وحماية الذمار، ولا تلقوا بالا لإرجاف المرجفين وتخذيل المخذلين، وضعوا نصب أعينكم قول الصديق: «احرص على الموت توهب لك الحياة». أما الجبناء الرعاديد فلا ينبغى أن يكون لهم مكان فى صفوف المسلمين والعرب المجاهدين، وبحسب هؤلاء قولة البطل الهمام الذى لم يهزم فى جاهلية ولا إسلام: «لقد شهدت مائة زحف أو زهاءها، وما فى جسدى موضع إلا وفيه ضربة بسيف أو طعنة برمح أو رمية بسهم، وها أنا أموت على فراشى كما يموت البعير، فلا نامت أعين الجبناء. وما من عمل أرجى من لا إله إلا الله، وأنا مترس بها» فاعتبروا يا أولى الأبصار ما

الدكتور
محمد محمد أبو شهبة
الأستاذ بكلية أصول الدين

حفيد خليفة ـ يعظ خليفة

كان عبد الله بن عبد العزيز العمرى (حفيد أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز) يسعى بين الصفا والمروة فى موسم الحج، وكان أمير المؤمنين هارون الرشيد ممن شهد الموسم ذلك العام، فأقبل الرشيد بموكبه يسعى، فالتقى سليل الأمويين بعظيم العباسيين. فلما رقى هارون درجات الصفا، هتف به ابن عمه حفيد عمر بن عبد العزيز:

ـ يا أمير المؤمنين، انظر بطرفك إلى البيت.

ولم يكن يومئذ بين الكعبة والمسعى تلك الجدران التى أقيمت فيما بعد. فالتفت أعظم ملوك الدنيا يومئذ إلى جهة الحرم المكى وأجاب مخاطبه قائلا: ـ قد فعلت.

فسأله العمرى: كم من الناس ترى؟

قال الرشيد: ومن يحصيهم إلا الله!

قال العمرى: ـ اعلم يا أمير المؤمنين أن كل واحد من هؤلاء يسأل فى القيامة عن خاصة نفسه، وأنت وحدك مسئول عن الجميع، فانظر كيف تكون...

فبكى هارون بكاء لم يبك مثله فى حياته.

موجة الانحلال

والصحف الدائبة على تغذيتها

لاحظ الرأى العام الإسلامى فى مصر والأقطار الإسلامية خلال الفترة الأخيرة أن موجة من الانحلال بدأت تجتاح الأخلاق العامة ممثلة فى كثير من الصحف والمجلات المصرية .

فقد دأبت بعض الصحف على نشر صور خليعة ، ومناظر فاضحة ، وقصص مثيرة للغرائز المنحطة ، وموضوعات تدفع إلى الإلحاد والتحلل الخلق والانحلال النفسى ، مما كان له أسوأ الأثر فى نفس كل غيور على العقائد والأخلاق .

فهذه مجلة تدعو إلى فتح بيوت الدعارة . وأخرى تدعو المرأة إلى الخطيئة بدافع الحرية ، لأن الحرية فى نظر الكاتب هى حرية الخطيئة . وثالثة تدعو إلى إنكار وجود الله والسخرية من الأديان والمتدينين . ورابعة تهزأ بمشايخ المسلمين فى شكل ريبورتاج عن الوعظ فى مسجد السيدة زينب . وخامسة تدعو إلى الهزء بمشايخ الدين الإسلامى متخذة موضوعا بعينه (الشيخ متلوف) كهدف لحملتها . وسادسة تنشر القصص الجنسية الإباحية التى تدمر أخلاق القراء فضلا عن الناشئة الصغار .

وقد ضج الناس بالشكوى لهذا الاتجاه الساقط المشين ، فى الوقت الذى يحتاج فيه الوطن إلى التفرغ لقضاياه الكبرى وتعبئة الشعور العام وتكتيل القوى المختلفة لمجاهدة أعداء البلاد والنهوض بمستواها الاجتماعى والأخلاقى .

ومثل هذه التيارات المحرضة على التحلل والرذيلة من أخطر عوامل الهدم والتعويق فى نهضات البلاد والشعوب ، وهى كفيلة بالقضاء على روح هذه الثورة العظمى فى يسر وسهولة ، إذ كيف ينتفع بشباب فى بناء وطنهم وهم يلقنون الفسق والانحلال والإلحاد والكفر بالمبادئ السامية عيانا بيانا على صفحات الصحف والمجلات فى كل يوم .

ونحن نؤمن بأن مقاومة هذه التيارات الخبيثة هو وحده الكفيل برفعة شأن هذه الأمة ، والمحافظة على ثورتها نصا و روحا ، فضلا عن تهيئة المواطنين للسير فى طريق أفضل .

وإن نظرة واحدة تلقى على النماذج التى التقطناها من بعض الصحف والمجلات كأمثلة لما ينشر ـ ليبين بجلاء الخطر الداهم الذى يهدد مجتمعنا وثورتنا ومستقبلنا من جراء انتشار هذا الاتجاه وعدم القضاء عليه .

إن نشر هذه الأشياء فوق معارضته للروح القومية ومنافاته للا داب العامة مخالف أيضا لروح القانون ونصه .

وقد ذيلنا هذا البيان ببعض الأمثلة المتعلقة بهذا الموضوع .

ولنا وطيد الأمل فى أن نجد من الشهامة والغيرة على الأعراض والأخلاق ومستقبل الأبناء والروح القومية العامة ما يعين على تحقيق هذا الأمل الذى يتطلع إليه الرأى العام الإسلامى .

وقد قرر مجلس إدارة المركز العام لجمعيات الشبان المسلمين فى ٥ أكتوبر الحالى إرسال هذا الخطاب إلى الصحف والمجلات والجهات صاحبة الشأن .

بعض ما نشر فى الصحف والمجلات

مركز تحقيقات كامپيوترى علوم اسلامى

ما نشر بمجلة صباح الخير :

١ — العدد الرابع فى ٢ فبراير سنة ١٩٥٦ .

صورة الغلاف وهى صورة امرأة عارية الفخذين وما بينهما مثيرة للغريزة مفسدة للنشء .

٢ — العدد الخامس .

صورة فتاة بهلوانة تلعب على الحبل ـ بدون لباس ـ والجمهور يتطلع لها من أسفل مشغولا بالنظر إلى عورتها ، وزميلها يقف على الأرض حاملا لها اللباس ، ويطلب إليها أن تنزل لكى ترتديه .

ما نشر بمجلة روزاليوسف :

١ — العدد ١٤٦٥ ص ١٩ ـ صورة للشيخ متلوف بعنوان فوائد العمامة ، وقد مثلت الشيخ وقد جعل من شال عمامته حبلا طويلا ينتهى بحلقة ، وقد نشره ليصيد به حسناء تسير على الرصيف الآخر من الشارع .

٢ — العـدد ١٤٦٥ بتاريخ ١٩٥٦/٧/٩ - مقال بعنوان « الله » ينـكر وجود الله ويصف المؤمنين بالغفلة والبله وعدم العقل ، ويحمل فيه كاتبه على الأديان السماوية .

٣ — العـدد ١٤٣٤ بتاريخ ١٩٤٦/٢/٥ - مقال بعنوان « القرآن لا يحرم الزواج المدنى ولا يحرم زواج المسلمة من المسيحى » يحاول فيه الكاتب أن يمسخ الشريعة السمحة ويقلبها رأسا على عقب .

ما نشر بمجلة آخر ساعة :

١ — العدد الصادر فى ٣ اكتوبر سنة ١٩٥٦ - صورة رجل «يفاخذ» امرأة بكل وقاحة تحت عنوان رقصة جديدة .

٢ — نفس العدد - ريبورتاج يهزأ فيه كاتبه بمشايخ الدين الإسلامى وبالدروس الدينية وبالنبى الكريم وبناته الكرام .

ما نشر بأخبار اليوم :

١ — العدد الصادر فى ٧/٧/١٩٥٦ - وبه مقال وقع بعنوان « افتحوا بيوت الدعارة » .

٢ — العدد الصادر بتاريخ ٦/١٠/١٩٥٦ - صورة فى الصفحة الأخيرة تمثل رجلين وامرأة أحدهما يقول للآخر مشيرا إلى المرأة : إذا كنت تعرفها صحيح قل لى السرير بتاعها كم لوح .

٣ — نفس العدد - رجل وزوجته متهيآن للنوم فى السرير يقول لها : على فكرة اسمه ايه ده بطل القفز العالى ما فاتشى على النهارده .

ويبدو فى الصورة رجل وقد اختبأ فوق النجفة التى بحجرة النوم مما يدل على أنه كان معها فى المخدع وقت وصول الزوج ثم اضطر إلى القفز لكى يختبئ فوق النجفة .

٤ — نفس العـدد - صورة امرأة عارية الفخذين والصدر جالسة فى وضع مثير للغريزة الجنسية وهى ممثلة ويجوارها المخرج جالسا فى حالة ارتباك وكسوف - تقول له (لو كنت عارفة انك بتتكسف كده كنت قلت لك تجيب معاك مساعد المخرج) .

٥ — نفس العدد - صورة زوجة غانية ومعها زوجها فى حجرة النوم ، يفتح زوجها

مكتبتنا العربية

الدولاب فيفاجأ برجل أجنبي داخل الدولاب فيقول الزوج له : «أنت هنا . أنا كمان بقول الدولاب منور ليه » .

٦ — نفس العدد — امرأة جميلة تقول لخادمتها (محمود بك يمكن ييجى يزورنى النهارده اكنسى تحت السرير كويس) .

ما نشر فى جريدة الأخبار :

العدد المؤرخ ٢ اكتوبر سنة ١٩٥٦ الصفحة الأخيرة بعنوان « يوميات الأخبار » يقول فيها الكاتب بالنص « مطلوب فتاة تحب أباها وتشتهيه ، فتاة تعيش حياتها بلا ندم ولا خجل وتحب كل شيء جديد ، مهما كان هذا الشيء ، ولا تحبه أن ينتهى ، فهى تكره النهايات » .

وفى نفس المقال يقول الكاتب على لسان المؤلفة التى يترجم لها « لف ذراعيه حولى وانتزعنى من الزورق بقسوة وغصب وشدنى إلى صدره بقسوة فأسندت رأسى إلى كتفه ، وفى تلك اللحظة أحسست بأننى أحبه وعند ما بحثت شفتاه عن شفتى أخذنا نرتجف من اللذة وكانت قبلة طويلة بلا خجل ولا ندم » .

ويقول الكاتب فى نفس اليوميات فى معرض الحديث عن ملكة جمال لبنان : « وكيف ينظر المجتمع فى بيروت إلى المرأة التى أخطأت ، أقصد أن المجتمع المتحضر هو الذى يرى أن من حق المرأة أن تخطئ لأن الحرية هى حرية الخطأ » .

عبد القادر مختار

السكرتير العام لجمعيات الشبان المسلمين

التضحية بالنفس والمال

فى المسند للامام أحمد (٢ : ٢٥٦) من حديث أبى هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :

« لا يجتمع غبار فى سبيل الله ودخان جهنم فى منخرى رجل مسلم . ولا يجتمع شح وإيمان فى قلب رجل مسلم » .

من وحى المولد النبوى الشريف

قم فى فم الدنيا وشد بالمولد ... وبذكر طه غن فيه وأنشد
وانظم له درر الثناء ، قلائدا ... زين بها جيد المنى والسؤدد
طاول بذكراه الزمان ، وأهله ... واصعد بها ما فوق هام الفرقد
طوّف بها الآفاق ، يعبق طيبها ... بالمبدإ الأسمى ، ونبل المقصد
هل فى البرية مثل أحمد ماجد ؟ ... كلا ، وإن يرق السماء بمصعد
ملك طهور ، فى الجزيرة مرسل ... هو سيد ، من سيد ، من سيد !

* * *

ميلاد أحمد ، كان أول قطرة ... من غيث ربى للمرات القدفد
مولاى قدما قد وعدت به الملا ... ولأنت أصدق من يفى بالموعد
أنزلته ماء الحياة فحوّل الـ ... ـصخر الأصم إلى النضير الجيد
وبعثت فيه من الجمال طرائفا ... وجعلت فيه من الكريم المتلد
وافى الورى بالمعجزات ومثلها ... حلف الزمان بأنه لم يشهد
هيا سلوا التاريخ أية أمة ... دانت لها الدنيا ، كأمة أحمد؟!!

* * *

فى أفق مكة ، قد تألق لامعا ... نجم صغير ، فى المدارة مبتدى
والليل ساج ، والظلام مخيم ... والكون ناو فى فراش المرقد
والنجم يكبر ، عاليا متلألئا ... فيبدد الظلمات شر مبدد
حتى غدا ، والصبح أقبل مشرقا ... شمسا ، تضىء طريقه للمهتدى
عمت حرارتها النفوس فأيقظت ... فيها الطموح إلى المقام الأمجد

فمضت تشق إلى المجادة سبلها ... فى غير ما وهن وغير تردد
صمدوا لها ـ والحادثات كثيرة ـ ... والعاديات أمامهم لم تصمد
مرد الزمان ، فقوموه بصارم ... والدهر لا يصغى لغير مهند
والعرب للدنيا أتوا بحضارة ... وردت بها والله أصفى مورد
من نبعها نهل الأنام بأسره ... وعمارة الدنيا بها لم تجحد
ومواقف فى الخافقين جليلة ... شهدت بها الأيام أروع مشهد
هذا التراث أمانة محفوظة ... من مسها بالسوء مقطوع اليد
من رام منا أن ينال نذيقه ... ريب المنون بيومه قبل الغد
والحق أقوى من أساطيل الورى ... والويل للباغى الأثيم المعتدى ! !

* * *

زفت بميلاد النبى بشارة ... كبرى لمكة ، فى صباح أسعد
خير البرية من سلالة هاشم ... زين الرجال ، وفخر كل موحد
الله أدبه وأرشده ، ألا ... أنعم بتأديب الإله المرشد
فعليه من نور المهيمن هالة ... بيضا يواكبها الجلال السرمدى
سجدت قريش للحجارة قربة ... والمصطفى أبدا لها لم يسجد
ملء العيون مهابة ورصانة ... وحديثه فصل الخطاب الأسدد
إن زار عينيه الكرى فى ليلة ... فالقلب بين ضلوعه لم يرقد
رقت جوانبه ، فأنة بائس ... تمضى كسهم للفؤاد مسدد
بالخير ينبض قلبه ، وبخشية ... وبرأفة ، وبرحمة ، وتودد
واسى المصاب ، مخففا من بؤسه ... وتعهد الفقراء ، خير تعهد
كم سائلا أعطى ، ونفس كربة ... وأغاث ملهوفا ، وأغدق من يد
كف تفيض ندى ، وتقطر بلسما ... يأسو الجراح ، ورافد المسترفد
هذى روائعه ، وذلك هديه ... ومناره للسالك المسترشد
ذكرى تجدد للنفوس يقينها ... وتبدد الأوهام كل مبدد

حف الكمال بها وقدس سرها ... فتبوأت فى الخلد أسمى مقعد
يا دورة الدنيا ، ففى بتأدب ... للذكريات ، وأنت ياعليا اسجدى !

* * *

لاقى من القوم الغلاظ شدائدا ... متكبدا آلامها بتجلد
وهب الحياة لخير أمته ، ومن ... يهب الحياة لخيرها يتكبد
يلقى الأذى منهم بصبر نادر ... يدع المسىء لناره فى موقد
يدعو إلى الله الكريم بحكمة ... قوما أشد من الأصم الجلمد
زادوا أذى ، فازداد غفرانا لهم ... والصفح يحلو للكريم المحتد
كسروا رباعية الرسول وأهرقوا ... دمه فسال على الأديم الأسود !
لكنه ـ والظلم جاوز حده ـ ... والجرح ساخنة به ، لم تبرد
يدعو لهم رب البرية قائلا ... رب اهد قومى للطريق الأرشد !
بحر خضم بالمكارم زاخر ... يلقى المكاره صافيا ، لم يزبد
ياليت شعرى ـ هل يكون المصطفى ... إلا ملاكا يحمل اسم محمد ؟ !

* * *

حسب ابن عبد الله مفخرة له ... تحريره للعالم المستعبد
فك العقول من الإسار بهمة ... ومضى يوجهها لأشرف مقصد
والدين يوم الفتح عز بمكة ... فى مشهد ، أعظم به من مشهد
وبحافل الإسلام حول نبيهم ... مثل الكواكب فى رحاب المسجد
وكبار مكة قد علتهم صفرة الأ ... موات فى هم مقيم مقعد !
والبيت ينتفض انتفاضة صائح ... يا دولة الشرك اذهبى وتبددى
فتهاوت الأصنام من عليائها ... فى حسرة من أهلها وتنهد
والبيت عاد مطهرا من لوثة ... لصقت به منذ الزمان الأبعد
والعزة العلياء راحت تزدهى ... وتروح فى كنف الرسول وتغتدى

مكتبتنا العربية

والخلد نادى من سما عليائه ... يادولة الإسلام عزى واخلدى
سودى على الدنيا ، وعزمك صادق ... فى زجر من يعصى ، وهدى الملحد
ولسان حال الكون يهتف قائلا ... الله أكبر ، يا ربى الدنيا اسعدى !

* * *

يا أمة الإسلام تيهى وافخرى ... بمحمد ، فى يوم عيد المولد
وازهى على الدنيا به ، وتهللى ... واستشعرى العليا ، ولا تترددى
لك فى رسول الله أعظم قدوة ... فحذار عن مجد الألى أن تقعدى
فالمرء إمّا أن يعيش لمجده ... أو يستريح بلحده فى المرقد !

* * *

يا سيد الرسل الكرام تحية ... أرجو قبول تحيتى يا سيدى
أرجو الشفاعة منك فى يوم الجزا ... والكرب مشتد ، ولم أتزود
إنى ضعيف ، والذنوب كثيرة ... وهناك سعى المرء ينفع فى الغد
عمل يجنبنى عذاب جهنم ... عمل الشكور الصابر المتعبد
لكن لى فى الله أى مؤمل ... حاشا أضام ، وخيره لم ينفد
رب كريم غافر لعباده ... مالى سواه ، وغيره لم أقصد !

محمود ابراهيم طيره

كلمة مجاهد

تأخرت أستبقى الحياة فلم أجد ... لنفسى حياة مثل أن أتقدما
ولسنا على الأعقاب تدمى كلومنا ... ولكن على أقدامنا تقطر الدما

الحصين بن الحمام

نـــداء

من شيخ الأزهر وعلمائه

فى هذه الساعات التى يسجل فيها التاريخ على حكومات الاستعمار بغيها السافر ، ونبذ العهود، وانتهاك الحدود، وإهدار المبادئ الإنسانية، وبعثها العصابات الصهيونية إلى العدوان الغادر على أرض الكنانة ، يعلن شيخ الأزهر وعلماؤه أن هذا السلوك الشائن الذى يسلكه المستعمرون، وما يفتنون فيه من الكيد لمصر ؛ إفساد فى الأرض، وإشاعة للشر ، وسعى إلى إثارة حرب فى بلاد العروبة والإسلام، لو استعرت نارها وامتد لظاها فسيكونون أول من تدور عليهم الدوائر .

وإن على العالم شرقيه وغربيه ، وعلى كل من له وازع من ضمير أو رادع من دين أن يعمل على رد هـذا الخطر عن الإنسانية ، فأن خلافة العالم عن الله فى أرضه تلزمه أن يتكاتف أمام القوى الطاغية درءا للشر ، وحفظا للسلام، وحماية لحقوق الإنسان .

وليعلم الباغون أن صـد العدوان والدفاع عن النفس أمر فطرى تبعثه طبيعة الكائن الحى ، وتأمر به شرائع السماء .

وان الذى يتخاذل عن صد الباغين، ولا يقف فى صف الذائدين عن حماهم، المدافعين عن أوطانهم ، مهما اختلفوا معهم فى لون أو دين ، إنهم إلا خارجون على حدود الإنسانية، محادون للشرائع السماوية .

وإن على الذين أوتو الكتاب فى أمم الاستعمار ، أن يحذروا أولى الأمر فى شعوبهم من مغبة العدوان الغاشم، وأن يبثوا فى نفوس أبنائهم ما تدعو إليه الأديان من مبادئ السلام ، وأن يدفعوهم إلى التعاون على إقرار الحق لأهله ، والثورة فى وجه الباغين ، فليس على وجه الأرض دين أو وضع اجتماعى يقر البغى أو يدعو إلى الضعة وعدم الرد على المعتدين . « ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض » .

وإن من تعاليم الإسلام الأمر بالدفاع والتحذير من العدوان ، قال عز من قائل : « وقاتلوا فى سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين » .

مكتبتنا العربية

أيها العرب ، أيها المسلمون :

إن الإسلام اليوم يدعوكم إلى الوقوف أمام طواغيت الاستعمار صفا واحدا كما يقول الله : « إن الله يحب الذين يقاتلون فى سبيله صفا كأنهم بنيان مرصوص » ، ويحثكم على الثبات فى وجه العدو والصبر فى جهاده والاستمساك بالتعاون والترابط والاعتصام بحبل الله ، قال عز من قائل : « يأيها الذين آمنوا إذا لقيتم فئة فاثبتوا واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون » ، واعلموا أن الله غالب على أمره ، ولن يمكن الأعداء ممن ملأ نفوسهم الإيمان بحقهم ، وقد ضمن لهم أنه معهم بنصره وتأييده فقال : « إن الله يدافع عن الذين آمنوا إن الله لا يحب كل خوان كفور . أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وإن الله على نصرهم لقدير » .

وأنتم أيها المقاتلة المجاهدون ، ثقوا بالنصر والفوز ، واطمئنوا إلى إيمانكم ، واثبتوا فى جهادكم ، فان الله تعالى يقول : « وأنتم الأعلون إن كنتم مؤمنين » . ولا ترهبنكم حشود أعدائكم فانهم « لن يضروكم إلا أذى ، وإن يقاتلوكم يولوكم الأدبار ثم لاينصرون » . وإن لكم أسوة حسنة فى أسلافكم المجاهدين « الذين قال لهم الناس إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم إيمانا وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل ، فانقلبوا بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوء واتبعوا رضوان الله والله ذو فضل عظيم » .

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

أيها المصريون :

انفروا خفافا وثقالا ، وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم فى سبيل الله ، فقد أصبح الجهاد الآن فرضا عليكم جميعا بكل ما تملكون من نفس ومال وولد ، وقد هيأ الله لكم جيشا قويا تحت قيادة حكيمة حازمة ، فشدوا أزر جيشكم ، وادفعوا عن أنفسكم وأوطانكم ، وسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون ٤

بحـــوث

فى مصادر الشريعة النظرية

— ٦ —

شروط العـلة :

ذكر الأصوليون شروطا كثيرة للعلة أو صلها الشوكانى فى كتابه « إرشاد الفحول[١] » إلى أربعة وعشرين ، وهـذه الشروط بعضها اتفقت كلمة الأصوليين على اشتراطه ، وبعضها اختلفت كلمتهم فيه ، وسنقتصر هنا على أهم هذه الشروط ، وهى أربعة :

الشرط الأول : أن تكون العلة ظاهرة جلية يمكن التحقق من وجـودها أو عدم وجودها ، وهـذا الشرط لاخلاف فيه بين العلماء ، وذلك لأن العلة علامة على الحـكم ومعرفة له ، فاذا لم تكن ظاهرة فلا تصلح أن تجعل علامة ولا معرفة .

ولهذا صح أن يكون الإسكار علة لتحريم الخمر ووجوب الحد ، لأنه أمر ظاهر يمكن التحقق من وجوده أو عدم وجوده ، ولم يصح أن يكون التراضى بين المتبايعين علة لنقل الملـكية فى البدلين لأنه أمر قلبى لا سبيل إلى التحقق من وجـوده أو عدم وجوده ، بل يتعين أن تكون العلة فى ذلك الإيجاب والقبول اللذين هما مظنة التراضى .

الشرط الثانى : أن تكون العلة منضبطة ، والمراد بانضباطها أن تكون لها حقيقة معينة لا تختلف اختلافا بينا باختلاف الأفراد والأحوال ، وهذا الشرط أيضا لا اختلاف فيه بين العلماء ، وذلك لأن مبنى القياس على التسوية بين الأصل والفرع فى علة الحـكم ، فاذا كانت العلة من الأمور التى تختلف باختلاف الأفراد والأحـوال لم يتأت التساوى الذى ينبنى عليه القياس .

---

(١) ص ١٨٢

مكتبتنا العربية

وعلى هذا لا يصح أن تكون المشقة علة لإباحة الفطر فى رمضان للمسافر والمريض، لأن المشقة من الأمور المرنة المضطربة التى تختلف اختلافا بينا باختلاف الأفراد والظروف والأحوال ، وإنما تكون العلة فى ذلك الوصف الظاهر المنضبط الذى يكون مظنة لهذه المشقة ، وهو السفر والمرض .

الشرط الثالث : أن تكون العلة وصفا مناسبا للحكم ، ومعنى مناسبته للحكم أن يكون فى ترتيب الحكم عليه تحقيق المصلحة للعباد أو دفع المفسدة عنهم ، وذلك كالإسكار بالنسبة لتحريم الخمر فأنه أمر مناسب لهذا الحكم ، لأنه يحصل من ترتيبه عليه وتشريعه عند وجوده ، تحقيق مصلحة للعباد، وهى حفظ العقول، أو دفع مفسدة عنهم، وهى زوال العقول .

وكذلك القتل العدوان فانه أمر مناسب للحكم ، وهو وجوب القصاص من القاتل المعتدى ، لأنه يحصل من ترتيبه عليه تحقيق منفعة للعباد ، وهى حفظ الأرواح وإخلاء العالم من الفساد ، أو دفع مفسدة عنهم ، وهى إهدار الدماء ووقوع العداوة والبغضاء بين الناس .

وبناء على هذا الشرط لا يصح التعليل بالأوصاف التى لا مناسبة بينها وبين الحكم : كتعليل التحريم فى الخمر بكون الخمر سائلا أحمر أو معبأ فى أوان زجاجية أو غير زجاجية ، وتعليل وجوب القطع فى السرقة بكون السارق غنيا والمسروق منه فقيرا، وتعليل وجوب القصاص فى القتل العدوان بكون القاتل رجلا أو امرأة وما أشبه ذلك من الأوصاف التى لا مناسبة بينها وبين الحكم .

الشرط الرابع : أن لا تكون العلة قاصرة على الأصل ، ومعنى هذا أن يكون الأمر الذى علل به حكم الأصل مما يمكن وجوده فى غيره من المحال ، وذلك لأن ما يشرع الحكم لأجله إذا كان قاصرا على المحل الوارد فيه النص أو الإجماع لم يتأت القياس، إذ القياس لابد فيه من اشتراك الأصل والفرع فى علة الحكم، فاذا كانت العلة لا تتعدى الأصل ولا توجد فى غيره لم يتحقق القياس لانعدام العلة فى الفرع . ومن أمثلة ذلك إباحة الفطر فى رمضان للمسافر والمريض فانه معلل بالسفر والمرض ومرتبط بهما وكلاهما قاصر على الأصل لا يتعداه إلى غيره لأن السفر لا يوجد إلا فى مسافر والمرض لا يتحقق

مكتبتنا العربية

إلا فى مريض، فلا يصح أن يقاس عليهما غيرهما كصاحب المهنة الشاقة: كالخباز والوقاد ونحوهما لانعدام علة الحكم فيه وهى المرض أو السفر.

هذا: وقد حكى كثير من الأصوليين اختلاف العلماء فى هذا الشرط، وأن منهم من ذهب إلى اشتراطه فمنع التعليل بالعلة القاصرة؛ وهم جمهور الحنفية وبعض الشافعية: كأبى بكر القفال الشاشى والحليمى، ومنهم من ذهب إلى عدم اشتراطه فأجاز التعليل بالعلة القاصرة، وهم جمهور الشافعية وبعض الحنفية: كمشايخ سمرقند وصاحب الميزان وكثير من المتأخرين كالكمال بن الهمام. وأوردوا أدلة كل من الفريقين، وذكروا منشأ النزاع والفائدة التى تترتب على هذا الخلاف.

والحق أنه لا يوجد بين العلماء نزاع فى اشتراط هذا الشرط ما دام المقصود هو علة القياس التى هى ركنه وأساسه، لأن علة القياس لا بد أن تكون متعدية حتى يتحقق القياس، وإنما النزاع بينهم فى اللفظ والتسمية، فالحنفية يسمون التعليل بالعلة القاصرة إبداء حكمة لسرعة الإذعان وزيادة الاطمئنان بالأحكام الشرعية، ولا يسمونه تعليلا، لأن التعليل عندهم مرادف للقياس، والقياس لا يتحقق بالعلة القاصرة. والشافعية يسمونه تعليلا بمعنى استخراج المناسب وإبداء الحكمة؛ لأن التعليل عندهم أعم من القياس، فهو شامل له ولاستخراج المناسب وإبداء الحكمة، فالذى منعه الحنفية فى العلة القاصرة هو التعليل بمعنى القياس دون التعليل بمعنى إبداء الحكمة، والذى أجازه الشافعية هو التعليل بمعنى إبداء الحكمة دون التعليل بمعنى القياس، فلا خلاف بينهم فى المعنى، لأن مراد المانع من التعليل بالعلة القاصرة منع القياس والتعدية بها، وهذا لا يخالف فيه من أجاز التعليل بها، ومراد من أجاز التعليل بها استخراج المعنى المناسب للحكم وإبداء الحكمة فى تشريعه وهذا لا يمنعه من منع التعليل بالعلة القاصرة.

يقول الكمال بن الهمام فى كتابه التحرير مع شرحه لابن أمير حاج مع شىء من التصرف: «ولا شك أن الخلاف لفظى فقيل: لأن التعليل هو القياس باصطلاح الحنفية، وهو أعم من القياس باصطلاح الشافعية، فالنافى لجواز التعليل بالقاصرة يريد به القياس، وهذا لا يخالف فيه أحد إذ لا يتحقق القياس عند أحد بدون وجود العلة المتعدية، والمثبت لجواز التعليل بها يريد به ما لم يكن قياسا، والظاهر أن هذا لا يخالف فيه أحد أيضا، فلم يتوارد النفى والإثبات على محل واحد فلا خلاف فى المعنى، ولأن الكلام

مكتبتنا العربية

فى علة القياس ، لأن الـكلام فى شروطه وأركانه التى منها العلة ، ولا شك أن النافى فى هذا السياق لا يريد إلا علة القياس ، ولا نزاع بين الفريقين فى هذا ، وإلا فلهم كثير مثله من اثبات العلة القاصرة فى الحج وغير الحج كما فى الرمل فى الأشواط الثلاثة الأول ، وكان سببه إظهار الجلد للمشركين حيث قالوا أضناهم حمى يثرب ثم بقى الحكم بعد زوال السبب فى زمن النبى صلى الله عليه وسلم وبعده . لـكن ربمـا سمى الحنفية التعليل بالقاصرة إبداء حكمة لا تعليلا ، تمييزا بين القاصرة والمتعدية » (١) .

مسالك العلة

المراد بمسالك العلة : الطرق والأدلة التى يتوصل بها إلى معرفة العلة ، وذلك لأن القياس لمـا كان لا يكتفى فيه بمجرد وجود الجامع بين الأصل والفرع ، بل لا بد فيه من دليل يدل على اعتباره ، احتاج العلماء إلى بيان مسالك العلة وطرقها الدالة عليها .

وقد اختلفوا فى عدد هذه المسالك ، فبعضهم قال هى عشر ؛ وبعضهم زاد على ذلك ، وبعضهم نقص ، كما اختلفوا فى تقديم بعضها على بعض ، فبعضهم قـدم مسلك الإجماع على مسلك النص لأنه أرجح من ظواهر النصوص ، إذ هو لا يتطرق إليه احتمال النسخ ، وبعضهم قـدم مسلك النص على مسلك الإجماع نظرا إلى أنه أشرف من غيره ، وهـذا ـ كما يقول الشوكانى ـ مجرد اصطلاح فى التأليف ولا مشاحة فيه (٢) ، وسنورد هنـا أهم هذه الطرق وهى ثلاثة :

١ ـ النص من الكتاب أو السنة ، فاذا دل نص من الكتاب والسنة على أن وصفا من الأوصاف علة لحكم من الأحكام ، كان ذلك الوصف علة لذلك الحكم ، ويقال للعلة الثابتة بواحد منهما علة منصوصة . ودلالة النص على أن الوصف علة قد تكون بطريق الصراحة ، وقد تكون بطريق الإيمـاء أى الإشارة والتنبيه .

والدلالة على العلة بطريق الصراحة أن يدل اللفظ الوارد فى النص على العلة بوضعه اللغوى وأمثلتها كثيرة ، منها : قول الله تعالى ـ بعد أن قص نبأ ولدى آدم عليه السلام ـ

---

(١) التقرير والتحبير ج ٣ ص ١٧٠ وانظر أيضا نهاية السول مع سلم الوصول للمرحوم الشيخ محمد بخيت المطيعى ج ٤ ص ٢٤٥ ـ ٢٥٣ ، ص ٢٧٦ ـ ٢٨١

(٢) ارشاد الفحول للشوكانى ص ١٨٤

مكتبتنا العربية

« من أجل ذلك كتبنا على بنى إسرائيل أنه من قتل نفسا بغير نفس أو فساد فى الأرض فكأنما قتل الناس جميعا ومن أحياها فكأنما أحيا الناس جميعا (١) » فان لفظة : « من أجل » فى هذه الآية الكريمة تدل على أن العلة فى هذا الوعيد الشديد هو ذلك الجرم العظيم وهو القتل العدوان الذى ارتكبه بعض أولاد آدم عليه السلام ، ومنها قوله تعالى : ـ فى تقسيم الفيء ـ « ما أفاء الله على رسوله من أهل القرى فلله وللرسول ولذى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل كى لا يكون دولة بين الأغنياء منكم (٢) » فان كلمة « كى » فى هذا النص تدل على أن العلة فى تقسيم الفيء على هذا الوجه هى أن لا يكون المال متداولا بين الأغنياء ويحرم منه الفقراء ، والمعنى جعلنا هذه الجهات مصارف للفيء حتى لا تقسمه الرؤساء والأغنياء والأقوياء بينهم دون الفقراء والضعفاء كما كان ذلك سائدا فى الجاهلية ، حيث كانوا يجمعون للرئيس نفائس الغنائم فكان يأخذ ربعها لنفسه ثم يصطفى منها بعد الربع ما يشاء حتى قال قائلهم :

لك المرباع منها والصفايا وحكمك والنشيطة والفضول [٣]

ومنها قول الرسول صلى الله عليه وسلم : « إنما نهيتكم عن ادخار لحوم الأضاحى من أجل الدافة التى دفت فكلوا وادخروا » فان كلمة « من أجل » فى الحديث الشريف تدل لغة على أن العلة التى من أجلها نهى الرسول عن ادخار لحوم الأضاحى هى التوسعة على الطائفة الفقيرة التى وفدت على المدينة حينذاك (٤) .

وقوله عليه الصلاة والسلام فى طهارة سؤر الهرة « وهو ما يبقى من الماء بعد الشرب » : (إنها من الطوافين عليكم والطوافات) (٥) فان لفظة « إنها » فى الحديث تدل لغة على أن العلة فى طهارة الهرة هى مخالطتها للناس وعدم إمكان التحرز عنها .

---

(١) آية ٣٢ من سورة المائدة .

(٢) آية ٧ من سورة الحشر .

(٣) وهذا البيت لعبد الله بن عنمة الضبى يخاطب به بسطام بن قيس ، والنشيطة : ما أصاب الرئيس فى الطريق قبل أن يصل إلى مجتمع الحى ، والفضول : ما فضل من القسمة مما لا تصح قسمته على عدد الغزاة كالبعير والفرس ونحوهما ، انظر الجامع لأحكام القرآن للقرطبى ج ١٨ ص ١٦

(٤) نيل الأوطار للشوكانى ج ٥ ص ١٠٨ ، والاحكام لابن حزم ج ٨ ص ٩١ .

(٥) منتقى الأخبار مع نيل الأوطار ج ١ ص ٣١ .

ودلالة النص بطريق الإيماء أن يدل اللفظ على أن الوصف علة بقرينة من القرائن كترتيب الحكم على الوصف واقترانه به بحيث يتبادر من هـذا الاقتران أن الوصف علة للحكم الذى اقترن به . ومثال ذلك قول الله تعالى : « والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما » (١) فان ترتيب الحكم الذى هو القطع على الوصف الذى هو السرقة بالفاء يومئ ويشير إلى أن السرقة علة لوجوب القطع .

وقوله عليه الصلاة والسلام : « لا يقضين حاكم بين اثنين وهو غضبان » (٢) فان اقتران النهى عن القضاء بالغضب فيـه إشارة إلى أن العلة فى هـذا النهى هى الغضب ، وقوله صلى الله عليه وسلم : « لا يرث القاتل » فان ذكر القتل مع الحرمان من الميراث يفهم منه أن القتل علة للحرمان من الارث .

٢ — الإجماع : فاذا اتفق المجتهدون فى عصر من العصور على أن وصفا ما علة لحكم من الأحكام الشرعية كانت علية ذلك الوصف للحكم ثابتة بالإجماع . ومن أمثلة ذلك إجماع المجتهدين على أن الصغر علة للولاية على الصغير فى ماله ، فيقاس عليها الولاية فى الزواج ، وإجماعهم على أن العلة فى تقديم الأخ الشقيق على الأخ لأب فى الميراث هى امتزاج النسبين : النسب من جهة الأب ومن جهة الأم ، فيقاس على ذلك تقديمه عليه فى ولاية التزويج .

٣ — المناسبة : والمراد بها أن يكون بين الوصف والحكم ملاءمة بحيث يترتب على تشريع الحكم عند وجوده تحقيق مصلحة مقصودة للشارع من تشريع الحكم وهى جلب منفعة للعباد أو دفع مفسدة عنهم .

وهذا المسلك لا يلجأ إليه المجتهد إلا عند عدم النص والإجماع على أن الوصف علة : كأن يرد نص شرعى بحكم ولم يدل نص ولا إجماع على علته ، فيبحث المجتهد فى الأصل عن الأوصاف المناسبة للحكم ، فاذا وجد وصفا ظاهرا منضبطا مناسبا للحكم جعله علة له ، وعمدته فى ذلك المناسبة التى بين الوصف وبين الحكم .

---

(١) آية : ٣٨ من سورة المائدة .

(٢) المصدر السابق جـ ٨ صـ ٢٢٧ .

مكتبتنا العربية

مثال هذا : ثبوت الولاية للأب فى تزويج ابنته البكر الصغيرة فانه حكم شرعى ثابت بالإجماع ، ولم يدل نص ولا إجماع على علة فيه ، و يوجد فى محل الحكم وصف ظاهر منضبط مناسب لهذا الحكم وهو الصغر لأنه مظنة العجز عن إدراك المصلحة ، وفى ثبوت الولاية بناء عليه دفع الضرر عن العاجز ، وهو من المصالح المقصودة للشارع ، فيكون علة لهذا الحكم لوجود المناسبة بينهما .

أقسام الوصف المناسب : وقد قسم الأصوليون الوصف المناسب بالنظر إلى شهادة الشارع له بالملاءمة وعدمها إلى ثلاثة أقسام :

القسم الأول : وصف مناسب شهد الشارع باعتباره ، ويسمى هذا عند بعض العلماء « بالمناسب المؤثر » [١] ويصح التعليل به باتفاق العلماء ، ومثاله الصغر فأنه وصف مناسب لثبوت ولاية التزويج على الصغير والصغيرة ، ولم يدل النص ولا الإجماع على أنه علة لهذا الحكم ، ولكننا وجدنا الشارع اعتبره علة فى محل آخر وهو الولاية على المال ، فيكون هذا شهادة من الشارع له بالاعتبار لأن الولاية على المال وولاية التزويج من جنس واحد وهو الولاية .

القسم الثانى : وصف مناسب شهد الشرع بالغائه ويسمى هذا « بالمناسب الملغى » ولا يصح التعليل به باتفاق العلماء . ومثلوا له بما روى أن بعض ملوك الأندلس أفطر فى شهر رمضان بغير عذر فأفتاه يحيى بن يحيى الليثى « تلميذ الإمام مالك وفقيه الأندلس فيما بعد » : بأنه لا كفارة له إلا بصيام شهرين متتابعين ولم يفته بالتخيير بين الصوم والإعتاق كما هو مذهب إمامه مالك ، وعلل هذه الفتوى بأن الصوم فيه مشقة على ذلك الملك وهو الذى يزجره و يمنعه من العود إلى الإفطار . أما الإعتاق فهو سهل عليه وليس فيه إضرار به فلا يكون زاجرا ولا مانعا له من العود إلى الإفطار وانتهاك حرمة الصيام .

فان هذا الإمام الجليل جعل سهولة العتق على ذلك الملك وعدم إضراره به علة لعدم صحة الإعتاق منه ، وألزمه بالصيام فقط لمشقته عليه وتضرره به ، ولا شك فى أن ذلك مناسب للحكم لما يترتب عليه من المصلحة وهى الزجر عن ارتكاب المعاصى والمحافظة على فرائض الله ، ولكن الشارع ألغى اعتبار ذلك فى الكفارة ، لأنه لما أوجب عتق الرقبة

(١) راجع التقرير والتحبير حـ ٣ ص ١٥٩ .

ابتداء على الأعرابى الذى أفطر عمدا فى رمضان ولم ينظر إلى أن العتق مما يسهل عليه أو لا يسهل ويتضرر به أو لا يتضرر ، فكأنه ألغى النظر إلى سهولة العتق وعدم سهولته وإلى التضرر به وعدمه [١] .

ويمكن التمثيل لهذا أيضا بما لو قال قائل : إن البنت تساوى الابن فى الميراث وعلل هذا بتساويهما فى القرابة ، فان التساوى فى القرابة وصف مناسب لهذا الحكم ، ولكن الشارع ألغى اعتباره فى الميراث حيث نص على أن للذكر من الميراث مثل حظ الأنثيين .

القسم الثالث : وصف مناسب لم يشهد الشارع باعتباره ولا بالغائه ويسمى هذا «بالمناسب المرسل» أو المصلحة المرسلة . وفى جواز التعليل به وبناء الحكم عليه اختلاف بين الفقهاء سيأتى بيانه فى الكلام على المصلحة المرسلة إن شاء الله تعالى .

زكى الدين شعبان
المدرس بحقوق عين شمس

مزقوا أعداءنا

دع سمائى فسمائى محرقة دع قنالى فمياهى مغرقة
واحذر الأرض فأرضى صاعقة
هذه أرضى أنا وأبى مات هنا
وأبى قال لنا : مزقوا أعداءنا
أنا عملاق قواه كل ثائر فى فلسطين وفى أرض الجزائر
والملايو .. وشعوب كالبشائر تنبت الأزهار من بين المجازر
دع سمائى فسمائى محرقة دع قنالى فمياهى مغرقة
واحذر الأرض فأرضى صاعقة

كمال عبد الحليم

---

(١) التحرير مع شرح التيسير حـ ٣ ص ٣١٤ ونهاية السول مع سلم الوصول حـ ٤ ص ٩٣ ، ٩٤ .

مكتبتنا العربية

التصـــــوف

بين التأييد والمعارضة

التصوف من الأمور التى جنى عليها شطط الإفراط والتفريط ، فقد غلا فيه أحباؤه ، وغلا فى مهاجمته أعداؤه ، فضاع وجه الحق فى الحكم له أو عليه ؛ اللهم إلا عند الذين لا تستخفهم حماسة المحبة أو العداوة ؛ بل يستبينون طريق الصواب فى حكمة ورشاد .

غلا أحباء التصوف فى مناصرته والإشادة به ، فاعتبروه ملح الكون ، ونور القلب ، وصلاح النفس ، وطريق الهداية الحقيقية ، وسبيل الوصول إلى النور والرضوان العميم ، ووضعوا فى ذلك كتبا يشتط بعضها ويشتط حتى يكون شططه كفرا صراحا أو قريبا من ذلك ، وكم تئن رفوف المكتبات الإسلامية من كتب خبيثه تحمل اسم التصوف ، وهى فى الحقيقة تطوى صفحاتها على الأباطيل والأضاليل ، مما يكيد للاسلام أو يناقضه .

وغلا أعداء التصوف فى مهاجمته وإنكاره ، فحكموا عليه بأنه وثنية ومجوسية ، وأنه كفر وإشراك ، وأنه بهتان وتهاويل ، لا نصيب فيه للحقيقة أو الصواب ، وعمموا حكمهم هذا على من سلف ومن خلف ، ومن اعتدل ومن أسرف .

وهذا مهاجم للتصوف يقول فيه بالحرف الواحد : « إن التصوف أدنأ وألأم كيد ابتدعه الشيطان ليسخر معه عباد الله فى حربه لله ولرسله . إنه قناع المجوسى يتراءى بأنه ربانى ، بل قناع كل عدو صوفى العداوة للدين الحق . فتش تجد فيه برهمية وبوذية وزرادشتية ومانوية وديصانية ، تجد أفلوطينية وغنوصية ، تجد فيه يهودية ونصرانية ، ووثنية جاهلية ، تجد فيه كل ما ابتدعه الشيطان من كفر ، منذ وقف فى جرأة صوفية يتحدى الله ، ويقسم بعزته أنه الذى سيضل غير المخلصين من عباده ، تجد فيه كل هذا الكفر الشيطانى ، وقد جعل منه الشيطان كفرا جديدا مكحول الإثم متبرج الغواية متقتل الفتون ، ثم سماه للمسلمين (تصوف) ، وزعم لهم ـ وأيده فى زعمه القدامى والمحدثون من الأحبار والرهبان ـ أنه يمثل أقدس المظاهر الروحية العليا فى الإسلام » !! .

مكتبتنا العربية

وهذا الغلو في المناصرة أو في المناهضة يذكرنا بالغلو في الحب أو البغض لأمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، فقد أسرف قوم في حبه حتى ضلوا وأضلوا ، وأسرف قوم في بغضه حتى ضلوا وأضلوا ، وأخبرنا هو في بعض ما ينسبونه إليه أنه يهلك فيه اثنان : أحدهما محب مسرف في حبه ، والآخر مبغض مسرف في شنآنه ؛ فكلاهما على غير صواب .

يقول الإمام علي « في نهج البلاغة » :

« وسيهلك فيّ فريقان : محب مفرط يذهب به الحب إلى غير الحق ، ومبغض مفرط يذهب به البغض إلى غير الحق ، وخير الناس فيّ حالا النمط الأوسط ، فالزموه ، والزموا السواد الأعظم ، فإن يد الله مع الجماعة ، وإياكم والفرقة فإن الشاذ من الناس للشيطان ، كما أن الشاذ من الغنم للذئب ، ألا من دعا إلى هذا الشعار فاقتلوه ولو كان تحت عمامتي هذه (١) » ! ! .

ولو أننا جانبنا الإسراف في أحكامنا وأقوالنا وأعمالنا لاستقمنا على الطريق . . . ولو تذكرنا أن الضلال قرين الإفراط والتفريط لعرفنا سبيل الهدى . . . ولو عرفنا التوسط والاعتدال في تناول الأمور والحكم على الأشياء لأنصفنا الحق وفزنا بالحقيقة . . .

إن الحق تبارك وتعالى يحدثنا ممتنا علينا بأنه قد جعلنا أمة وسطا غير غالية ولا مسرفة ، وغير مفرطة ولا مفرّطة ، فقال عز من قائل : « وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس » . وفي قصة أهل الجنة جعل القرآن الكريم رأي الأوسط منهم هو الرأي الرشيد السديد : « قال أوسطهم : ألم أقل لكم لولا تسبحون » . وأوصى الله سبحانه بالحرص على الصلوات عامة ، ثم خص الصلاة الوسطى بوصية خاصة ، فقال : « حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى وقوموا لله قانتين » ، وقال المفسرون : إنها سميت الوسطى لأنها أفضل الصلوات وأعظمها أجرا ، ولذلك خصت بالمحافظة عليها .

وحينما كلف الله عباده بكفارة الإطعام جعلها من الطعام الوسط ، فقال تعالى : « فكفارته إطعام عشرة مساكين من أوسط ماتطعمون أهليكم » ، بل حينما أثنى الله على الخيل المجاهدة ذكر من حسناتها أنها تتوسط الجمع ، فلا تنأى عن الحومة يمينا أو شمالا :

---

(١) نهج البلاغة ج ٢ ص ١٢ .

مكتبتنا العربية

« فأثرن به نقعا ، فوسطن به جمعا » ، أى أن مادة « الوسط » ترد فى القرآن الكريم فى مواطن الرضا والاختيار والثناء . . .

وفى الحديث كما نقل ابن الأثير فى النهاية : « خير الأمور أوساطها » وقد قيل فى وصف الرسول صلى الله عليه وسلم إنه من أوسط قومه ، أى من أفضلهم وخيارهم ، لأن الوسط هو العدل والخيار ، وذلك لأن الزيادة على المطلوب فى الأمر إفراط ، والنقص عنه تفريط وتقصير ، وكل من الإفراط والتفريط ابتعاد عن سواء السبيل ووسط الطريق ، وهو شر ومذموم ، فالخيار هو الوسط بين طرفى الأمر ، أى التوسط بينهما .

وقد علل مجد الدين ابن الأثير أفضلية التوسط تعليلا حكيما بليغا حيث قال :

« كل خصلة محمودة فلها طرفان مذمومان ، فأن السخاء وسط بين البخل والتبذير ، والشجاعة وسط بين الجبن والتهور ، والإنسان مأمور أن يتجنب كل وصف مذموم ، وتجنبه بالتعرى منه والبعد عنه ، فكلما ازداد منه بعدا ازداد منه تعريا ، وأبعد الجهات والمقادير والمعانى من كل طرفين وسطهما ، وهو غاية البعد عنهما ، فاذا كان فى الوسط فقد بعد عن الأطراف المذمومة بقدر الإمكان » .

ومن المؤسف أن الأمة التى يحدثها قرآنها المجيد هذا الحديث عن الوسط والتوسط ، ويحدثها رسولها الكريم عنهما كذلك ، ويشرح لها علماؤها ما فى التوسط من عدل وفضل وخيار ، هذه الأمة اليوم لا تعرف فى أمورها أو أقوالها أو أعمالها هذا الاعتدال ، بل هى - إلا من رحم ربك - تميل إلى أحد الجانبين : الإفراط أو التفريط ، فتبتعد عن الهدى والرشاد . . .

يتعرض « تفسير المنار » للحديث عن قوله تعالى : « وكذلك جعلناكم أمة وسطا » فيذكر أن المسلمين الحقيقيين خيار وعدول لأنهم وسط ، وليسوا من أرباب الغلو فى الدين ، ولا من أرباب التعطيل ، وهم كذلك فى الأخلاق والأعمال ؛ ثم يقول :

« ذلك أن الناس قبل ظهور الإسلام على قسمين : قسم تقضى عليه تقاليده بالمادية المحضة ، فلا هم له إلا الحظوظ الجسدية ، كاليهود والمشركين ، وقسم تحكم عليه تقاليده بالروحانية الخالصة وترك الدنيا وما فيها من اللذات الجسمانية ، كالنصارى والصابئين وطوائف من وثنيى الهند أصحاب الرياضات .

وأما الأمة الإسلامية فقـد جمع الله لهـا فى دينها بين الحقين : حق الروح وحق الجسد ، فهى روحانية جثمانية ، وإن شئت قلت إنه أعطاها جميع حقوق الإنسانية ، فان الإنسان جسم وروح ، حيوان وملك ، فكأنه قال : جعلناكم أمة وسطا تعرفون الحقين ، وتبلغون الـكمالين ، لتكونوا شهداء بالحق على الناس الجسمانيين بمـا فرطوا فى جنب الدين ، والروحانيين إذ أفرطوا وكانوا من الغالين . تشهدون على المفرطين بالتعطيل القائلين : (ما هى إلا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما يهلـكنا إلا الدهر) بأنهم أخلدوا إلى البهيمية ، وقضوا على استعدادهم بالحرمان من المزايا الروحانية ، وتشهدون على المفرطين بالغلو فى الدين القائلين : إن هذا الوجود حبس للأرواح وعقوبة لهـا ، فعلينا أن نتخلص منه بالتخلى عن جميع اللذات الجسمانية وتعذيب الجسد وهضم حقوق النفس ، وحرمانها من جميع ما أعده الله لهـا فى هذه الحياة .

تشهدون عليهم بأنهم خرجوا عن جادة الاعتدال ، وجنوا على أرواحهم بجنايتهم على أجسادهم وقواها الحيوية . . . تشهدون على هؤلاء وهـؤلاء ، وتسبقون الأمم كلها باعتدالـكم وتوسطكم فى الأمور كلها . ذلك بأن ما هديتم إليه هو الـكمال الإنسانى الذى ليس بعده كمال ، لأن صاحبه يعطى كل ذى حق حقه : يؤدى حقوق ربه ، وحقوق نفسه ، وحقوق جسمه ، وحقوق ذوى القربى ، وحقوق سائر الناس » .

مركز تحقيقات كامپيوترى علوم اسلامى

* * *

ليت المسرفين فى مناصرة التصوف أو مناهضته يتأدبون بهـذا الأدب الإلهى لـكى يستطيعوا أن يقولوا فى التصوف كلمة الحق بلا مجاملة أو اعتساف .

إننا نستطيع إذا أخـذنا بسنة التوسط والاعتدال أن نقول إن التصوف النقى السليم من التحريف والتزيد والادعاء قد يهدف إلى تحقيق معنى « الإحسان » الذى أشار إليه الحديث النبوى الشريف المروى فى كثير من كتب الصحاح والذى قص علينا مساءلة جبريل عليه السلام للنبى صلى الله عليـه وسلم ، وحينما سأله عن الإحسان أجابه الرسول قائلا : « الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه ، فان لم تـكن تراه فانه يراك » .

وقد ذكرت فى رسالتى « فى رحاب الصوفية » عبارة شرحت بها هـذا التعبير النبوى الـكريم فقلت : « معناه أن الإحسان فى العبادة وفى محاسبة النفس ومراقبة الله والخشية

مكتبتنا العربية

منه والتذكر له باستمرار ، هو أن يستشعر الإنسان فى نفسه حين حركاته وسكناته وأقواله وأعماله ، كأنه يطالع وجه ربه ، ويراه أمامه ، وهو رب الأرباب ، وسيد الأسياد ، ومالك الملوك ، وقاهر الجبابرة ، وديان العالمين ، فلا يكون من المرء إلا كل ما يحمد ويستطاب ، لأن هاديه الأعلى معه على الدوام ، وتلك منزلة لا يبلغها إلا القلة القليلة المصطفاة من خيار العابدين المؤمنين الموقنين ، فان وصلت إليها فقد بلغت من الكمال الإنسانى شأوا لا يستطاع للجميع ولا يرام ، وإن حالت حوائل ، أو قامت عوائق بينك وبين تلك الدرجة العليا ، فعندك درجة تخلفها وتتلوها ، وهى أن تعبد الله وأنت متذكر حق التذكر أنه يراك ويراقبك ، ويحصى عليك خفقات قلبك وفلتات لسانك ولمحات عينك وخطوات رجلك وحركات يدك وسائر تصرفاتك .

ومن تنبه لذلك فى عمله وقوله ، وحركته وسكونه ، خشى وخاف ، وخشع وارتدع ، لأنه يعلم أن القادر على كل شىء يرقبه ويلحظه ، فيحيا فى نفسه الحياء والخجل من أن يرتكب محظورا ، أو أمرا منكرا » ! . .

وأظن أن الهدف من التصوف الصحيح الصادق المبرأ من الأباطيل والأضاليل هو تحقيق هذا « الإحسان » فى نفس المسلم المؤمن ، حتى يكون وثيق الأسباب برب الأرباب .. وأظن أيضا أن هذا التصوير للتصوف لا يغضب أنصاره ، لأن مراتب الإحسان متعاقبة فى السمو والعلو إلى ما شاء الله ، ولا يغضب أعداء التصوف ، لأنه لا غلو فيه ولا جموح ، وهو فى الوقت نفسه يرجع بالتصوف إلى مبدأ دينى وأصل إسلامى هو حديث الرسول .

* * *

نعم إن التصوف كان خلال تاريخنا الطويل وفى بيئاتنا المختلفة مجالا وسيعا فسيحا للادعاء والتزيد والتحريف والتخريف ، فدخلته إسرائيليات وترهات ، واستغله مجرمون خبثاء كأسوأ ما يكون الاستغلال ، وضل به ضالون كأفحش ما يكون الضلال ، وأضل به مضلون كألعن ما يكون الإضلال ، ولكن سوء الاستغلال شىء والمبدأ فى حد ذاته شىء آخر ، وواجب المصلحين فى مثل هذه الحال أن يردوا الشارد ، ويصدوا الجامح ، ويؤدبوا الخارج ، ويردوا الأمور إلى نصابها .

وإن من أحوج الأمور إلى التصحيح والتقويم والغربلة في تراث الأمة الإسلامية هذا التصوف الذي يعد أهله أو المنتسبون إليه بالملايين في شتى بقاع العالم الإسلامي ، وذلك لأن القائمين فيه على الحق الأصيل والمبدأ الصحيح والطريق المستقيم قليلون ، والضالون فيه أو المضلون به كثيرون ، والذين يخرجون على المبدأ قد يشوهونه في نظر الناس ، ولكنهم لا يغيرون ذاته ، ولا يبدلون جوهره ، إذ يبقى الحق حقا دائما .

وما أكثر الذين يشوهون سمعة الإسلام عند الذين يجهلونه بسوء تصرفاتهم ، أو قبح أعمالهم ، أو مزور انتسابهم إلى الإسلام . . ولكن دين الله يبقى هو الدين ، وشريعة السماء تظل شريعة السماء بجمالها وجلالها وكمالها : « إن الدين عند الله الإسلام » ، « اليوم أكملت لكم دينكم ، وأتممت عليكم نعمتي ، ورضيت لكم الإسلام دينا » .

* * *

هذا ولعل أكبر مسألة تثير الخلاف بين أنصار التصوف وأعدائه هي مسألة « الشريعة والحقيقة » وهل هناك خلاف بينهما ؟ . . ومن الممكن أن نرجع في هذه المسألة إلى الحكم الوسط الفاصل ، وهو أن الحقيقة ـ أو ما يسميه الصوفية كذلك ـ يجب أن يكون مستمدا من الشريعة ، وداخلا فيها ، وموافقا لأصولها ، وغير خارج على قواعدها ، والصوفية الأصحاء يصرحون بذلك وينصون عليه ، وها هو ذا العلامة برهان الدين البقاعي في كتابه : « تحذير العباد من أهل العناد » يشير إلى ذلك في توسع فيقول فيما يقول : « فان المحققين منهم والمحققين بنوا طريقهم على الاقتداء بالكتاب والسنة ، كما نقل القاضي عياض في أوائل القسم الثاني من الشفاء فيما يجب من حقوق المصطفى صلى الله عليه وسلم عن الحسن رحمه الله أنه قال : إن أقواما قالوا : يا رسول الله ؛ إنا نحب الله ، فأنزل الله تعالى : « قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله » وعنه أنه قال : عمل قليل في سنة خير من عمل كثير في بدعة . . .

وعن أبي عثمان الحيري أنه قال : من أمر على نفسه السنة قولا وفعلا نطق بالحكمة ، ومن أمر الهوى على نفسه نطق بالبدعة . وقال سهل بن عبد الله التستري : أصول مذهبنا ثلاثة : الاقتداء بالنبي صلى الله عليه وسلم في الأخلاق والأفعال ، والأكل من الحلال ، وإخلاص النية في جميع الأعمال ، وفي كتب القوم كالرسالة والعوارف من ذلك شيء كثير » .

والبقاعي ناقل هذه الأقوال من أشد أعداء التصوف والمهاجمين لرجاله .

ولنتذكر أخيرا أننا حينما نتوسط ونعتدل فى أمر التصوف نخدم التصوف ونخدم الناس ؛ نخدم التصوف لأننا سنجعل أمره ميسورا واضحا معقولا ، لا رموز فيه ولا أحاجى ولا ألغاز ، بل فيه تلك النسمات الرقيقة من الروحانية والمراقبة والخشية والخوف والاتصال الوثيق بالله بارئ الكون وبديع السموات والأرض . . . ونخدم الناس ، إذ نفتح لهم بابا سهلا للسمو بأرواحهم والعلو بأخلاقهم ، والنهوض بمستواهم الدينى والنفسى . . .

فهل من نصير لدعوة التوسط والاعتدال فى شأن التصوف ؟ ! .

احمد الشرباصى

المدرس بالأزهر الشريف

مجلس الازهر الأعلى

يستنكر عدوان فرنسا على الجزائر الباسلة

مجلس الأزهر الأعلى المنعقد برياسة الأستاذ الأكبر شيخ الجامع الأزهر ، وعضوية السادة وكيل الأزهر ، ووكلاء وزارات العدل ، والتربية والتعليم ، والأوقاف ، والمالية ، والسكرتير العام للأزهر ، والمستشار الفنى لوزارة التربية والتعليم ، والمدير العام للغة العربية سابقا ، ومشايخ الكليات ، وجماعة كبار العلماء ، يرى من الواجب الدينى والإنسانى أن يستعرض فى مفتتح جدول أعماله ما استفاضت به الأخبار من تلك الأحداث المنكرة ، وذلك العدوان الفاجر الذى ترتكبه فرنسا مع الشعوب العربية المسلمة من أهل افريقيا الشمالية ، ويستنكر أشد الاستنكار ما تورطت فيه من أعمال وحشية ، وتصرفات ختل وغدر ، ضد شعب الجزائر وزعمائه ، ذلك الشعب الذى نهض يطلب حقه ويدفع عن نفسه ذل الاستعمار وكابوس الاحتلال ، ويعمل على أن يكون حرا مستقلا صاحب سيادة .

ومجلس الأزهر الأعلى يود أن ينبه إلى أنه ينبغى ألا يغيب عن بال زعماء فرنسا وتقدير رجال حكومتهم أنه لا يمكنها - بعد اليوم - أن تكسب صداقة الشعب الجزائرى ومودته ، ولا أن تنتفع بموارد بلاده ، إلا إذا تركت هذا الشعب العربى الأبى يصل إلى حقه ، ويعلن استقلاله ، ويقرر دستوره ، ويحكم نفسه ، فلتختر فرنسا لنفسها ما تشاء .

ولنتذكر أخيرا أننا حينما نتوسط ونعتدل فى أمر التصوف نخدم التصوف ونخدم الناس ؛ نخدم التصوف لأننا سنجعل أمره ميسورا واضحا معقولا ، لا رموز فيه ولا أحاجى ولا ألغاز ، بل فيه تلك النسمات الرقيقة من الروحانية والمراقبة والخشية والخوف والاتصال الوثيق بالله بارئ الكون وبديع السموات والأرض . . . ونخدم الناس ، إذ نفتح لهم بابا سهلا للسمو بأرواحهم والعلو بأخلاقهم ، والنهوض بمستواهم الدينى والنفسى . . .

فهل من نصير لدعوة التوسط والاعتدال فى شأن التصوف ؟ ! .

احمد الشرباصى

المدرس بالأزهر الشريف

مجلس الازهر الأعلى

يستنكر عدوان فرنسا على الجزائر الباسلة

مجلس الأزهر الأعلى المنعقد برياسة الأستاذ الأكبر شيخ الجامع الأزهر ، وعضوية السادة وكيل الأزهر ، ووكلاء وزارات العدل ، والتربية والتعليم ، والأوقاف ، والمالية ، والسكرتير العام للأزهر ، والمستشار الفنى لوزارة التربية والتعليم ، والمدير العام للغة العربية سابقا ، ومشايخ الكليات ، وجماعة كبار العلماء ، يرى من الواجب الدينى والإنسانى أن يستعرض فى مفتتح جدول أعماله ما استفاضت به الأخبار من تلك الأحداث المنكرة ، وذلك العدوان الفاجر الذى ترتكبه فرنسا مع الشعوب العربية المسلمة من أهل افريقيا الشمالية ، ويستنكر أشد الاستنكار ما تورطت فيه من أعمال وحشية ، وتصرفات ختل وغدر ، ضد شعب الجزائر وزعمائه ، ذلك الشعب الذى نهض يطلب حقه ويدفع عن نفسه ذل الاستعمار وكابوس الاحتلال ، ويعمل على أن يكون حرا مستقلا صاحب سيادة .

ومجلس الأزهر الأعلى يود أن ينبه إلى أنه ينبغى ألا يغيب عن بال زعماء فرنسا وتقدير رجال حكومتهم أنه لا يمكنها - بعد اليوم - أن تكسب صداقة الشعب الجزائرى ومودته ، ولا أن تنتفع بموارد بلاده ، إلا إذا تركت هذا الشعب العربى الأبى يصل إلى حقه ، ويعلن استقلاله ، ويقرر دستوره ، ويحكم نفسه ، فلتختر فرنسا لنفسها ما تشاء .

مكتبتنا العربية

الله أكبر - جاء النصر

الله أكبر ، جاء النصر ، وبجلت بشائر الفتح ، جاء الحق ، وزهق الباطل ، ان الباطل كان زهوقا .

الآن - قد تبين الأمر ، وظهر للعالم كله مبلغ فجور الفاجرين ، وعدوان أهل البغى المستعمرين ، الذين يعبثون بالسلام والأمن ، ويسعون بالفساد فى الأرض ، لايرعون فى الإنسانية عهدا ولا ذمة ، ولا يبالون بتعاليم دينية ولا بأوضاع مدنية : يعتدون على الآمنين فى أوطانهم ، ويدكون بالقنابل فى صورة وحشية مدنهم وقراهم ومرافقهم ومنشآتهم وطرق مواصلاتهم : تخريب وتدمير ، وتحريق وتقتيل ، فى أبشع ما تعرفه همجية برابرة الغزاة ، وقرصنة المتكسبين بالنهب والسلب ، وهو ما تنكره أشد الانكار جميع ديانات السماء ، وتمقته كل المقت جميع قوانين الأرض .

ان الذين عاشوا فى تاريخهم القديم على النهب والغدر والقرصنة : قرصنة الأفراد والوحدات ، لايزالون فى تاريخهم الحديث يوغلون فى هذا النهب وهذا الغدر ، ويتفننون فى أساليب هذه القرصنة ، ولكنها قرصنة يتسلطون بها على الأمم والشعوب .

الآن قد ظهر للعالم كله أن عداوة بريطانيا وفرنسا لمصر لاتقل عن عداوة إسرائيل ، بل هى أشد منها وأخس وأبخر .

ان هاتين الدولتين الغادرتين قد جهدتا منذ تأميم شركة قناة السويس فى اللف والدوران ، لتلمس أسباب السيطرة على هذه القناة ، مهما كانت هذه الأسباب ظالمة كاذبة ، وتتذرعان لهذه الغاية بكل وسيلة ، مهما تكن مرذولة مفضوحة فى نظر كل من يستحى من رذيلة أو فضيحة .

ولما أعيتهما الحيلة للوصول إلى هذه الغاية العدوانية الفاجرة عن طريق مجلس الأمن ، أوعزتا إلى إسرائيل بالهجوم على الأراضى المصرية ، واقتحام شبه جزيرة سينا ، وتهديد قناة السويس ، لتتظاهرا بدعوى أن الملاحة فى القناة مهددة بالخطر من أثر هذا الغزو الصهيونى ، الذى هو من صنعهما وتدبيرهما ، ثم لم تلبثا أن حملتا على مصر بجيوشهما فى البر والبحر والجو حربا ظالمة فاجرة مخربة مدمرة ، حينما رأتا أن مصر قد نهضت لدفع الصهيونيين عن أرضها ، وأنها صممت إن لم يرتدوا على أعقابهم فستسحقهم سحقا ، وتذيقهم أشد النكال .

مكتبتنا العربية

أما بعد ـ فقد تبين للعالم كله أن بريطانيا وفرنسا قوم معتدون باغون أشد العدوان والبغى، وأن أهون ما لطخت به دولتاهما شرف الحكم أنهما ـ كما قال زعيم العمال الإنجليزى ـ قد هبتا تعاونان اللص وتقتلان صاحب المنزل .

ألا فليعلم العالم كله : شرقيه وغربيه أن مصر جادة فى الدفاع عن أرضها، والذود عن حياضها ، وأنها لا يمكن أن تستسلم حتى آخر قطرة من دماء أبنائها ، فإن الدفاع عن الوطن من عناصر الدفاع عن العقيدة والدين .

ولتعلم دول العروبة ودول الشرق أن الاستعمار الذى تقلص ظله عن أراضيهم يريد أن يعيد فيها ذلك الظل الممقوت ، وأن هذا الاستعمار لا يفرق فيهم بين دولة ودولة ولا بين دين ودين ، فليهبوا لنصرة اخوتهم فى مصر ، وليعملوا بكل ما استطاعوا من قوة على الوقوف فى وجه الاستعمار ، وسد موارد حياته ، ودرء شرور هذه الحرب الظالمة التى تدير رحاها فى مصر والشرق : دولتا بريطانيا وفرنسا وجماعة الصهيونية ، والتى يعتدى فيها على كيانهم واستقلالهم .

والله ولينا جميعا ، يمدنا بقوته ، ويؤيدنا بنصره ، وينجز لنا صادق وعده الذى كتبه فى محكم قوله : « وكان حقا علينا نصر المؤمنين » .

إنه ـ جل شأنه ـ يحق الحق ، ويبطل الباطل ، وهو القوى العزيز .

شيخ الجامع الأزهر

عبد الرحمن تاج

الجهـــــاد

فى شريعة الاسلام ـ وتاريخه

حرية العقيدة فى الإسلام :

لقد بعث الله رسوله محمدا صلى الله عليه وسلم هاديا يذكر الناس بالحق من حيث هو حق ، ويرشدهم إلى الخير حيثما كان الخير ، ويبشرهم بما يترتب على إقامة الحق والتزام الخير من سعادة فى الحياة ، وخلود فى النعيم الدائم .

والدين الإسلامى هو الذى أعلن المبدأ التالى ، ولم تعلنه ديانات أخرى من ديانات البشر بهذه الصراحة والوضوح : (لا إكراه فى الدين ، قد تبين الرشد من الغى ، فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله . فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها ، والله سميع عليم)

و « الطاغوت » هو الطغيان . وهو فى اللغة : تجاوز الحد فى الشر . وفى الدين : الشرك بالله وعبادة الأوثان والملوك والرؤساء . وفى السياسة : ظلم الناس وإخراجهم من أرضهم وديارهم . وفى الحكم : العدول عن الحق ومحاباة ناس بغمط آخرين . كل هذا وأمثاله « طاغوت » . أى طغيان . والإسلام جاء لحمل الانسانية على وضع حد له ورفعه من الأرض . والنزول على أحكام الله وسننه واتباع رسالاته .

وحتى العلم ـ وهو من كبريات الفضائل ـ إذا مال صاحبه إلى الهوى وجار عن القصد كان طغيانا . وفى حديث وهب « وإن للعلم طغيانا كطغيان المال » .

وهذا الدين وحده هو الذى يقول فيه ربنا سبحانه لرسوله : (فذكر ، إنما أنت مذكر ، لست عليهم بمصيطر . إلا من تولى وكفر ، فيعذبه الله العذاب الأكبر . إن إلينا إيابهم ، ثم إن علينا حسابهم) . ويخاطبه ربه فيقول له (أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين) ويقول له (ادع إلى سبيل ربك بالحكمة . والموعظة الحسنة . وجادلهم بالتى هى أحسن) .

الإسلام : حق ، وخير :

إن كل حق فى الدنيا ، مما عرفه البشر من قبل ، وما ستدركه عقولهم من بعد ، متى ثبت أنه حق ، فان الإسلام يأمر بالأخذ به ، ويحض على نصرته ، ويعده من صميمه . وكل خير عرفوه أو سيعرفونه ، فهو مما يحض عليه الإسلام . لأن هذا الدين جاء ليقيم الحق ، ويعمم الخير ، وليسوق الإنسانية إلى العمل الصالح : « والعصر . إن الإنسان لفى خسر . إلا الذين آمنوا ، وعملوا الصالحات ، وتواصوا بالحق ، وتواصوا بالصبر » .

ولكن هل إذا دعا الإسلام إلى هذه الفطرة الإلهية السامية بالحكمة وبالموعظة الحسنة بلا إكراه ولا عدوان ، يرضى أهل الباطل والشر من أهل الحق والخير أن يمضوا فى سبيل دعوتهم بسلام ، ولا يقفون فى طريقهم ليمنعوهم من المضى فيه ؟

إن تاريخ الإنسانية من أقدم عصورها إلى يوم الناس هذا لم يضمن هذا السلام لأهل الحق والخير ، ولم يحدثنا بعصر واحد استطاع فيه دعاة الحق والخير أن يمضوا فى سبيلهم بسلام ، آمنين من بغى أهل البغى ، ومن عدوان المبطلين الأشرار .

وقد حدثنا التاريخ أن داعية الحق والخير صلى الله عليه وسلم لبث فى وطنه وبين ظهرانى قومه ثلاثة عشر عاما وهو يحسن لهم كل حسن ويقبح لهم كل قبيح ، ويحاول النهوض بعقولهم من العبودية للمخلوقات إلى عبادة الخالق وحده ، ويدعوهم إلى سبيل أنبياء الله وهداته كلهم بلا استثناء ، وقد استجاب له فئة من خيارهم معدنا وأخلاقا وعقولا ، غير أن مهمته كانت أعم من أن تقتصر على هؤلاء ، وأبعد مرمى من أن تنحصر فى ذلك المحيط وقد أبى عليه ذلك المحيط أن يحل نظام الحق والخير فى محل النظام المألوف لهم القائم على عكس ذلك ، ولم يكن فى الطاقة ولا من صالح الدعوة الصبر عليهم أكثر مما صبر ، فأخذ يوسع دائرة الدعوة فى القبائل ، وفى رجال الأوس والخزرج من أهل يثرب ، فزاد ذلك من حنق أنصار الباطل على داعية الحق ، وانتهى الأمر إلى أن يهاجر من وطنه . جاء فى مسند الإمام أحمد (١ : ٢١٦ الطبعة الأولى) عن سعيد بن جبير عن عبد الله بن عباس أن النبى صلى الله عليه وسلم لما خرج من مكة مهاجرا قال أبو بكر : أخرجوا نبيهم ، إنا لله وإنا إليه راجعون . ليهلكن . فنزل قول الله عز وجل « أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وإن الله على نصرهم لقدير » ، فعرف أنه سيكون قتال . قال ابن عباس : هى أول آية نزلت فى الجهاد .

الجهاد لحماية الحق

فالجهاد فى الإسلام شرع لدفع الظلم، ولمقاتلة من قاتل أهل الحق «وقاتلوا فى سبيل الله الذين يقاتلونكم ، ولا تعتدوا ، إن الله لا يحب المعتدين . واقتلوهم حيث ثقفتموهم ، وأخرجوهم من حيث أخرجوكم ، والفتنة أشد من القتل ، ولا تقاتلوهم عند المسجد الحرام حتى يقاتلوكم فيه ، فان قاتلوكم فاقتلوهم ، كذلك جزاء الكافرين . فان انتهوا فان الله غفور رحيم . وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ، ويكون الدين لله . فان انتهوا ، فلا عدوان إلا على الظالمين » . « فان اعتزلوكم فلم يقاتلوكم وألقوا إليكم السلم ، فما جعل الله لكم عليهم سبيلا » . « وإن جنحوا للسلم فاجنح لها وتوكل على الله ، إنه هو السميع العليم . وإن يريدوا أن يخدعوك فان حسبك الله ، هو الذى أيدك بنصره وبالمؤمنين » .

بداية تشريع الجهاد

وأول ذكر للجهاد فى الإسلام بعد مشروعيته ، ما ورد عنه فى عقد البيعة بين رسول الله صلى الله عليه وسلم والأنصار . نقل الحافظ ابن حجر فى الفتح (٦ : ٢) عن الحاكم فى الاكليل أن كعب بن مالك ـ أو عبد الله بن رواحة ـ قال للنبى صلى الله عليه وسلم عند ما بايعه الأنصار :

ـ اشترط لربك ولنفسك ما شئت .

فقال : أشترط لربى أن تعبدوه ، ولا تشركوا به شيئا . وأشترط لنفسى أن تمنعونى مما تمنعون منه أنفسكم .

قالوا : فمالنا إذا فعلنا ذلك ؟ قال : الجنة . . .

قالوا : ربح البيع . لا نقيل ، ولا نستقيل . . .

فنزل قول الله عز وجل : « إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة ، يقاتلون فى سبيل الله فيقتلون ويقتلون ؛ وعدا عليه حقا فى التوراة والإنجيل والقرآن . ومن أوفى بعهده من الله ؟ فاستبشروا ببيعكم الذى بايعتم به ، وذلك هو الفوز العظيم » .

شرط الجهاد والغرض منه :

والجهاد فى الإسلام لا يعد جهادا فى سبيل الله إلا إذا كان لإقامة الحق . ويعبر عنه

مكتبتنا العربية

بلسان الشرع « أن تكون كلمة الله هى العليا » وهو الذى لايخالطه رياء ، أو طمع ، أو حب الشهرة والظهور . ورد فى صحيح البخارى (ك ٥٦ : ب ١٥) عن أبى موسى الأشعرى قال : جاء رجل (قالوا هو لاحق بن ضميرة الباهلى) إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال : الرجل يقاتل للمغنم ، والرجل يقاتل للذكر (أى الشهرة) ، والرجل يقاتل ليرى مكانه (أى الرياء) فمن فى سبيل الله ؟ قال : « من قاتل لتكون كلمة الله هى العليا ، فهو فى سبيل الله » .

وفى مسند الإمام أحمد (٥ : ٢٢٤) عن معاذ بن جبل أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « الغزو غزوان : فأما من ابتغى وجه الله ، وأطاع الإمام ، وأنفق الكريمة ، وياسر الشريك ، واجتنب الفساد ، فأن نومه ونبهه أجر كله . وأما من غزا فخرا ورياء وسمعة ، وعصى الإمام ، وأفسد فى الأرض ، فأنه لم يرجع بالكفاف » .

الجهاد أفضل العبادات :

والجهاد إذا كان خالصا لوجه الله ، ولتكون كلمة الله هى العليا ، معدود فى شريعة الإسلام أفضل العبادات على الاطلاق . ورد فى صحيح البخارى (ك ٥٦ : ب ١) عن ذكوان أن أبا هريرة قال : جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال :

ـ دلنى على عمل يعدل الجهاد . قال صلى الله عليه وسلم : لا أجده .

ثم وجه صلى الله عليه وسلم السؤال إلى هذا الصحابى فقال له : هل تستطيع ـ إذا خرج المجاهد ـ أن تدخل مسجدك فتقوم (أى للصلاة) فلا تفتر ، وتصوم ولا تفطر ؟

قال : ومن يستطيع ذلك ؟ أى أن المجاهد فى عبادة متواصلة ، وله ثواب العبادة التى لا تنقطع من ساعة خروجه من بيته بنية الجهاد ، ولايوجد عابد يستطيع أن يواصل العبادة بلا انقطاع كما يواصلها الخارج للجهاد . قال أبو هريرة فى تمام هذا الحديث : ان فرس المجاهد ليستن فى طوله (أى يمرح فى حبله وهو يرعى) فيكتب لصاحبه حسنات . وقال القاضى عياض : اشتمل هذا الحديث على تعظيم أمر الجهاد ، لأن الصيام وغيره مما ذكر من فضائل الأعمال قد عدلها الجهاد كلها حتى صارت جميع حالات المجاهد وتصرفاته المباحة معادلة لأجر المواظب على الصلاة وغيرها ، وقال الإمام ابن دقيق العيد : القياس

مكتبتنا العربية

يقتضى أن يكون الجهاد أفضل الأعمال التى هى وسائل ، لأن الجهاد وسيلة إلى إعلاء كلمة الله ، ففضيلته كفضيلتها .

وفى فتح البارى (٦ : ٤) عن ابن أبى حاتم من طريق سعيد بن جبير أنه لما نزل قول الله سبحانه : « يا أيها الذين آمنوا هل أدلكم على تجارة تنجيكم من عذاب أليم » قال المسلمون : لو علمنا هذه التجارة لأعطينا فيها الأموال والأهلين ، فنزل بعد ذلك قول الله عز وجل : « تؤمنون بالله ورسوله ، وتجاهدون فى سبيل الله بأموالكم وأنفسكم ، ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون . يغفر لكم ذنوبكم ، ويدخلكم جنات تجرى من تحتها الأنهار ومساكن طيبة فى جنات عدن ، ذلك الفوز العظيم . وأخرى تحبونها ، نصر من الله ، وفتح قريب » .

وروى مسلم فى صحيحه عن النعمان بن بشير الخزرجى ـ وكان أول مولود للأنصار فى الإسلام ـ أنه قال : كنت عند النبى صلى الله عليه وسلم (أى فى المسجد ، وكان ذلك فى طفولته) فقال رجل :

ـ ما أبالى أن أعمل عملا بعد الإسلام إلا أن أسقى الحاج .

وقال آخر : ما أبالى أن أعمل بعد الإسلام إلا أن أعمر المسجد الحرام (أى أن ألزمه ، فيكون معمورا بى وبأمثالى) .

وقال على بن أبى طالب : الجهاد فى سبيل الله أفضل مما ذكرتما .

فقال عمر : لا ترفعوا أصواتكم عند منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولكن إذا قضيت الصلاة سألته لكم .

فسأله عمر ، فأنزل الله تعالى هذه الآية : « أجعلتم سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام ، كمن آمن بالله واليوم الآخر وجاهد فى سبيل الله؟ لا يستوون عند الله ، والله لا يهدى القوم الظالمين ، الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا فى سبيل الله بأموالهم وأنفسهم أعظم درجة عند الله وأولئك هم الفائزون . يبشرهم ربهم برحمة منه ورضوان ، وجنات لهم فيها نعيم مقيم ، خالدين فيها أبدا إن الله عنده أجر عظيم » .

وفى مسند الإمام أحمد (٥ : ٢٦٦) عن أبى أمامة الباهلى قال : خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى سرية من سراياه ، فمر رجل بغار فيه شىء من ماء (وفى رواية :

مكتبتنا العربية

فيه نبع ماء) فحدّث نفسه بأن يقيم فى ذلك الغار فيقوته ما كان فيه من ماء ، ويصيب ماحوله من البقل ، ويتخلى من الدنيا (أى ينقطع للعبادة) . ثم قال : لو أنى أتيت النبى صلى الله عليه وسلم فذكرت ذلك له ، فأن أذن لى فعلت ، وإلا لم أفعل . فأتاه فقال : يا نبى الله ، إنى مررت بغار فيه ما يقوتنى من الماء والبقل ، فحدّثتنى نفسى بأن أقيم فيه وأتخلى من الدنيا . فقال النبى صلى الله عليه وسلم : « إنى لم أبعث باليهودية ولا بالنصرانية (يعنى الرهبانية والتبتل والانزواء فى الأديار) ولكنى بعثت بالحنيفية السمحة (أى بالحق والخير وتعميمها) والذى نفس محمد بيده ، لغدوة أو روحة فى سبيل الله خير من الدنيا وما فيها ، ولمقام أحدكم فى الصف (أى صف القتال) خير من صلاته ستين سنة » .

وفى مسند الإمام أحمد (١ : ٦١ و ٦٤ - ٦٥) عن مصعب بن ثابت عن عبد الله ابن الزبير أن أمير المؤمنين عثمان قال وهو يخطب على منبره : إنى محدثكم حديثا سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم ما كان يمنعنى أن أحدثكم به إلا الضن عليكم ، وإنى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « حرس ليلة فى سبيل الله أفضل من ألف ليلة يقام ليلها (أى بالصلاة) ويصام نهارها » .

فريضة الجهاد

فى مسند أحمد (٥ : ٢٣٤) عن معاذ بن جبل أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « الجهاد عمود الإسلام ، وذروة سنامه » .

ونقل الحافظ ابن حجر فى الفتح (٦ : ٢٤) عن الطبرى من رواية أبى الضحى أن أول ما نزل من سورة براءة آية «انفروا خفافا وثقالا وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم فى سبيل الله» قال : وقد فهم بعض الصحابة من هذا الأمر العموم . فلم يكونوا يتخلفون عن الغزو حتى ماتوا ، منهم أبو أيوب الأنصارى ، والمقداد بن الأسود ، ومعنى خفافا وثقالا : متأهبين وغير متأهبين ، أو رجالا وركبانا .

ولما جاء بشير بن الخصاصية السدوسى ليبايع النبى صلى الله عليه وسلم اشترط عليه الشهادتين والصلاة وصيام رمضان والزكاة والحج والجهاد فى سبيل الله . فقال بشير :

أما اثنتان فلا أطيقهما : الزكاة ، وليس لى إلا عشر ذود (أى نياق) هن رسل أهلى

مكتبتنا العربية

(أى غذاؤهم) وحمولتهم . وأما الجهاد فتقولون إن من ولى (أى انهزم) فقد باء بغضب من الله ، وأخاف إن حضرنى فقال أن أكره الموت وتخشع نفسى .

فقال النبى صلى الله عليه وسلم : لا صدقة ، ولا جهـاد ! فبم تدخل الجنة ؟

فأذعن بشير وقال : يا رسول الله أبايعك عليهن كلهن .

التمرين الحربى فى السلم :

فى صحيح البخارى (٥٦ : ٧٨) عن سلمة بن الأكوع أن النبى صلى الله عليه وسلم مر على نفر من أسلم وهم ينتضلون (أى يتبارون فى الرماية) فقال لهم :

ـ ارموا بنى اسماعيل ، فان أباكم كان راميا . ارموا وأنا مع بنى فلان (لأحد الفريقين المتناضلين) .

فلما صار النبى صلى الله عليه وسلم مع الفريق الذى انضم إليه أمسك الفريق الآخر بأيديهم وكفوا عن الرمى ، فقال صلى الله عليه وسلم : ما لكم لا ترمون ؟

قالوا : كيف نرمى وأنت معهم ؟ فقال صلى الله عليه وسلم : ارموا وأنا معكم كلكم .

ومن استعدادهم فى السلم للحرب ما رواه ابن سعد فى الطبقات (٣ ـ ١ : ٢٢) عن السائب بن يزيد قال : رأيت خيلا عند عمر بن الخطاب رحمه الله مسومة فى أفخاذها : « حبيس فى سبيل الله » وقال : رأيت عمر بن الخطاب يصلح أداة الإبل التى يحمل عليها فى سبيل الله : براذعها وأقتابها ، فاذا حمل الرجل على البعير جعل معه أداته .

ومن وصايا عمر لهذه الأمة بأن يطيلوا المران على الرماية والفروسية قوله : لن تخور قوى ما دام صاحبها ينزع (أى يرمى بالقوس) وينزو (أى يثب على سروج الخيل) .

وقوله : « عليكم باناث الخيل ، فان بطونها كنز ، وظهورها حرز » .

وقوله : تمعددوا (أى كونوا أهل عفة وجلد وتقشف كبنى معد بن عدنان) ، واخشوشنوا ، واقطعوا الركب ، وانزوا على الخيل نزوا . احفوا وانتعلوا ، فانكم لا تدرون متى تكون الجفلة (أى المبادرة إلى الحرب) .

فضل الجهاد وثوابه :

فى صحيح البخارى (ك ٥٦ : ب ١٦) عن أبى عبس عبد الرحمن بن جبر أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « ما اغبرت قدما عبد فى سبيل الله فتمسه النار » .

وكان ـ عند ما قال ذلك ـ فى طريقه مع أصحابه إلى الجهاد . روى ابن حبان عن جابر أن الصحابة لما سمعوا هذه الكلمة من فمه الشريف تواثبوا عن دوابهم لتغبر أقدامهم وهم فى سبيل الله . قال جابر : فما رؤى أكثر ماشيا من ذلك اليوم .

وفى صحيح البخارى (٥٦ : ٧) أن أبا هريرة سمع النبى صلى الله عليه وسلم يقول : « والذى نفسى بيده ، لولا أن رجالا من المؤمنين لا تطيب أنفسهم أن يتخلفوا عنى ؛ ولا أجد ما أحملهم عليه ، ما تخلفت عن سرية تغدو فى سبيل الله . والذى نفسى بيده ، لوددت أنى أقتل فى سبيل الله ثم أحيا ، ثم أقتل ثم أحيا ، ثم أقتل ثم أحيا ، ثم أقتل » .

وفيه (٥٦ : ١٠) عن أبى هريرة أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « والذى نفسى بيده ، لا يكلم (أى يجرح) أحد فى سبيل الله ـ والله أعلم بمن يكلم فى سبيله ـ إلا جاء يوم القيامة واللون لون الدم ، والريح ريح المسك » .

وفى مسند الإمام أحمد (٥ : ٢٣٥) عن معاذ بن جبل أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « من قاتل فى سبيل الله فواق ناقة (أى قدر ما تدر لبنها لمن حلبها) وجبت له الجنة »

وفيه (١ : ٣١٩ و ٣٢٢) من حديث عطاء بن يسار عن ابن عباس أن النبى صلى الله عليه وسلم خرج عليهم وهم جلوس فقال : « ألا أحدثكم بخير الناس منزلا ؟ » قالوا : بلى يا رسول الله . قال : « رجل يمسك برأس فرس فى سبيل الله حتى يموت أو يقتل » .

جهاد المسلمين الأولين :

فى صحيح البخارى (ك ٥٦ : ب ١٢) عن أنس بن مالك قال غاب عمى أنس بن النضر عن قتال بدر ، فقال : يا رسول الله ، غبت عن أول قتال قاتلت المشركين . لئن الله أشهدنى قتال المشركين ليرين الله ما أصنع . فلما كان يوم أحد ، وانكشف المسلمون قال :

ـ اللهم إنى أعتذر إليك مما صنع هؤلاء (يعنى أصحابه) وأبرأ إليك مما صنع هؤلاء (يعنى المشركين) .

ثم تقدم ، فاستقبله سعد بن معاذ ، فقال له :

ـ يا سعد بن معاذ ، الجنة ورب النضر ! إنى أجد ريحها من دون أحد ...

مكتبتنا العربية

قال سعد (وهو يحـدث النبي صلى الله عليه وسلم بهـــذا الخبر) : فـا استطعت يا رسول الله ما صنع .

وقال ابن أخيه أنس بن مالك : وجـدنا به بضعا وثمـانين ضربة بالسيف أو طعنة برمح أو رمية بسهم . ووجدناه قد قتل ، ومثل به ، فـا عرفه أحد إلا أخته ببنانه .

وقال أنس : كنا نرى هذه الآية نزلت فيه وفى أمثاله « من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه ، فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر ، وما بدلوا تبديلا » وفى صحيح البخارى (٥٦ : ١٣) عن البراء قال : أتى النبي صلى الله عليه وسلم رجـــل مقنع بالحديد (وفى صحيح مسلم أنه أنصارى من بنى النبيت) فقال : يا رسول الله أقاتل ، أو أسلم ؟ فأجابه (أسـلم ، ثم قاتل) فقتل ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : « عمل قليلا وأجر كثيرا » .

وأخرج ابن إسحق فى المغازى عن أبى هريرة أنه كان يسأل :

ـ أخبرونى عن رجل دخل الجنة لم يصل صلاة ؟

ثم يقول : هو عمرو بن ثابت بن وقش أحد بنى عبد الأشهل من الأوس ، قال محمود ابن لبيد : كان يأبى الإسلام . فلما كان يوم أحد أخذ سيفه حتى أتى القوم ، فدخل فى عرض المجاهدين ، فقاتل حتى وقع جريحا ، فوجده قومه فقالوا له :

ما جاء بك ؟ أشفقة على قومك ، أم رغبة فى الإسلام ؟

قال : بل رغبة فى الإسلام ، قاتلت مع رسول الله حتى أصابنى ما أصابنى (ثم مات) فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إنه من أهل الجنة » .

منزلة الشهداء :

قال الله عز وجل : « ولا تحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون ، فرحين بمـا آتاهم الله من فضله ، ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم أن لاخوف عليهم ولا هم يحزنون ، يستبشرون بنعمة من الله وفضل ، وأن الله لا يضيع أجر المؤمنين » .

وفى صحيح البخارى (٥٦ : ٦) عن أنس بن مالك أن النبي صلى الله عليه وسـلم قال « ما من عبد يموت ـ له عند الله خير ـ يسره أن يرجع إلى الدنيا وأن له الدنيا وما فيها ،

مكتبتنا العربية

إلا الشهيد، لما يرى من فضل الشهادة، فانه يسره أن يرجع إلى الدنيا فيقتل مرة أخرى» .

ومثله فى مسند أحمد (٥ : ٣١٨) من حديث عبادة بن الصامت .

وفى فتح البارى (٦ : ٢١) عن النسائى والحاكم من حديث أنس : قال النبى صلى الله عليه وسلم : « يؤتى بالرجل من أهل الجنة ، فيقول الله تعالى : يابن آدم ، كيف وجدت منزلك ؟ فيقول : أى رب ، خير منزل . فيقول الله : سل وتمنه . فيقول : أسألك وأتمنى أن تردنى إلى الدنيا فأقتل فى سبيلك عشر مرات ، لما رأى من فضل الشهادة » .

وفى صحيح مسلم من حديث ابن مسعود فى الشهداء : «فاطلع عليهم ربك اطلاعة فقال : هل تشتهون شيئا ؟ قالوا : نريد أن ترد أرواحنا فى أجسادنا حتى نقتل فى سبيلك مرة أخرى»

العطف على المجاهدين والتبرع لهم :

قال الله تعالى : « مثل الذين ينفقون أموالهم فى سبيل الله كمثل حبة أنبتت سبع سنابل فى كل سنبلة مائة حبة ، والله يضاعف لمن يشاء ، والله واسع عليم » .

وفى مسند الإمام أحمد (٥ : ٢٣٤) عن معاذ بن جبل قال : قال النبى صلى الله عليه وسلم : « من جهز غازيا ، أو خلفه فى أهله بخير ، فانه معنا » .

وفى صحيح البخارى (ك ٥٦ : ب ٣٧) عن أبى هريرة أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : «من أنفق زوجين فى سبيل الله (أى شيئين من أى نوع كان مما ينفق) دعاه خزنة الجنة ، كل خزنة باب : أى فلان هلم » ! .

وفيه (٥٦ : ٣٨) من حديث زيد بن خالد أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « من جهز غازيا فى سبيل الله فقد غزا ، ومن خلف غازيا فى سبيل الله بخير فقد غزا » .

وفيه (٥٦ : ٣٨) عن أنس أن النبى صلى الله عليه وسلم لم يكن يدخل بيتا بالمدينة ـ غير بيوت أزواجه ـ إلا بيت أم سليم . فقيل له ، فقال : إنى أرحمها ، قتل أخوها معى (أى مع عسكره) وأخوها هو حرام بن ملحان ، قتل فى غزوة بئر معونة .

ومن الجهاد أن تكون قلوب المتخلفين وعواطفهم مع المجاهدين . وآية ذلك أن يبذلوا ما فى طاقتهم لعون المجاهدين ، ومثل هؤلاء قال فيهم النبى صلى الله عليه وسلم فيما رواه البخارى (٥٦ : ٣٥) عن أنس ، ورواه أبو داود واللفظ له ، أن النبى صلى الله عليه وسلم قال فى غزوة تبوك : « لقد تركتم فى المدينة أقواما ما سرتم من مسير ، ولا أنفقتم

مكتبتنا العربية

من نفقة ، ولا قطعتم من واد إلا وهم معكم فيه . قالوا : يارسول الله وكيف يكونون معنا وهم بالمدينة ؟ قال : حبسهم العذر » .

جهاد فلسطين :

(يتنبأ عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم) :

فى مسند الإمام أحمد (٥ : ٢٦٩) عن أبى أمامة قال : قال النبى صلى الله عليه وسلم « لا تزال طائفة من أمتى على الدين ظاهرين لعدوهم قاهرين لا يضرهم من خالفهم ولا ما أصابهم من لأواء ، حتى يأتيهم أمر الله وهم كذلك » .

قالوا : يا رسول الله ، وأين هم ؟

قال : « ببيت المقدس ، وأكناف بيت المقدس » .

وفى صحيح البخارى (٥٦ : ٩٤) عن عبد الله بن عمر بن الخطاب أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « تقاتلون اليهود ، حتى يختبئ أحدهم وراء حجر فيقول الحجر : يا عبد الله ، هذا يهودى ورائى فاقتله » .

* * *

وبعد فقلما وقع جهاد فى مئات السنين الأخيرة يشبه الجهاد الأول فى كونه خالصا لله وفى سبيل الله وتجتمع فيه جميع عناصر الجهاد الشرعى كالجهاد لإلقاء من فى فلسطين من اليهود الأشرار فى البحر ، وليس عندنا أقل شك فى أن الهدف الأول لهذه الصهيونية إذا تم لها ما رسمته من خطط أن يكون رئيس هذه الدولة مسيحا بحسب تقاليدهم ، وهو نفسه المسيح الدجال الذى أخبرنا عنه نبينا الصادق المصدوق صلوات الله عليه .

وإذا صدق المسلمون نيتهم فى جهادهم لإحباط هذه الدولة الخبيثة الشريرة أوشك أن يتم وعد الله بنصر المؤمنين .

محب الدين الخطيب

مكتبتنا العربية

المعركة . . . فى بلدنا ! !

ماذا أقول ؟ . . . . وقد صارت المعركة فى مصر . . . .

إن شعب مصر يتتبع الأنباء كما أتتبعها ، وينفعل بالمشاعر التى أنفعل بها . . . . . لا ، إن شعب مصر الآن يصنع الأنباء ويخلق المشاعر ! ! !

شعب مصر ، بل الشعب العربى كله ، فى الميدان . . . فى السياسة والحرب ، فى العمل والإنتاج ، فى الإسعاف والعلاج . . . . فى كل ميدان .

كنت قد رتبت مقالى على أن أعالج أحداث الجزائر وسنغافورة ، وبولندا والمجر ! فاذا بالمعركة هنا . . . فى مصر . . . فى داخل بلدنا ! ! !

هجمات إسرائيلية تتوغل فى سينا ، ومناورات سياسية فى مجلس الأمن حتى يعجز عن إيقاف العدوان ، وإنذار بريطانى فرنسى يطالب المجنى عليه بالانسحاب داخل أراضيه ! ويعطى الجانى فرصة لم يحلم بها كى يتقدم فيرسى قواعده بجانب القناة ! ! !

هكذا كانت المقدمات العجيبة . . . . وقاومت مصر إسرائيل ، ورفضت إنذار الإنجليز والفرنسيين ، فشنوا غاراتهم الجوية المتواصلة ، ونحوا هيئة الأمم المتحدة ومجلس الأمن عن طريقهم ، وانتدبوا أنفسهم لتحقيق السلام ! بين مصر وإسرائيل ، وتأمين قناة السويس ، إذ أن الهيئة الدولية عاجزة بطبيعتها . . . .

وقدم همرشولد استقالته ، بعد أن أعلن أنه كان سيتولى قضية الشرق الأوسط بنفسه بناء على السلطات المخولة له بمقتضى الميثاق وبمقتضى قرارات مجلس الأمن ، لولا نظر مجلس الأمن للقضية بناء على طلب أمريكا ، وما ترتب عليه من تعجيز بريطانيا وفرنسا بالفيتو هذا التعجيز . . . .

وخطب ايزنهاور فوصف عمل بريطانيا وفرنسا بالخطأ ، وأعلن أن أمريكا لن تتورط فى الحرب . . . .

وخطب إيدن فزعم أن بريطانيا وفرنسا إنما تريدان أن تحجزا بين الفريقين المتحاربين لا غير ! ! وأن احتلال القناة مؤقت ، وأن بريطانيا استعملت الفيتو ضد المشروعين الأمريكى والسوفييتى لأنها لا تقبل تجريم إسرائيل وحدها دون النظر إلى المقدمات

والمثيرات ، ولقد دأبت مصر على مهاجمة إسرائيل والغرب ..... وتكلمت إسرائيل ، فادعت أنها لا شأن لها بالهجمات الانجلوفرنسية ، وأن لها نشاطها وأهدافها .. وإن كانت تؤيد هدف حماية القناة لضمان حرية الملاحة ! ! !

ولم يقنع إيدن على حجته حزب العمال من قومه ووراءه نصف الشعب البريطانى تقريبا ، ولم يقره أيزنهاور رئيس أمريكا الحليفة ، ولم يقره معظم دول الكومنولث البريطانى ، ولم تقره معظم دول الأرض فى هيئة الأمم المتحدة التى أمرت بايقاف العدوان ، ولم يقره ناتنج الوزير البريطانى نفسه باستقالة ...

ومع ذلك أصر إيدن على موقفه فى مجلس العموم ، وأصر على موقفه بالنسبة لهيئة الأمم ، فقال إنه ما لم ترسل هيئة الأمم قوة بوليسية دولية لإقرار السلام فى الشرق الأوسط ، وتحل أزمة القناة ، وتوافق مصر وإسرائيل على هذا كله وتوقفا إطلاق النار ، فلن تستطيع انجلترا وفرنسا قبول قرارات هيئة الأمم .... وحتى تتكون القوة البوليسية الدولية فعلى مصر وإسرائيل أن تسمحا بوجود البريطانيين والفرنسيين يتطوعون بأداء هذه الخدمة ! ووعد بالعمل على (جلاء) الصهيونيين من أراضى مصر ، بعد (احتلال) الإنجلوفرنسيين للقناة !

لقد كان إيدن يخطب من قبل فى مؤتمر حزب المحافظين بينما كان مجلس الأمن يوالى اجتماعاته السرية والعلنية وحينما كان همرشولد يجتمع بوزراء الخارجية المصرية والبريطانية والفرنسية ، فاذا به يعلن أثناء محاولات السلام المبذولة أن موقف بريطانيا لم يتغير ، وأنها لن تترك القناة تحت سيطرة دولة واحدة وأن حكومة مسئولة لا يمكنها أن تتعهد بالتخلى عن استعمال القوة ، وأن السلام الذى تحرص عليه بريطانيا دائما ليس هو السلام بلا ثمن ! ! .

ودأبت بريطانيا على إقامة العراقيل فى وجه الجهود السلمية لحل نزاع القناة ... وجعلت المبادئ الستة ، التى أقرها مجلس الأمن (إطارا) ، وسمت ما قطع من مراحل (محادثات استكشافية) ، وتمسكت بالإشارة إلى مقررات الدول الثمانى عشرة كأداة تنفيذية للمبادئ الستة ، واجتمع إيدن ولويد مع موليه وبينو ليدعوا مصر إلى المفاوضة ، فنصوا فى دعوتهم على أن (مقترحات الدول الـ ١٨ التى تتضمن الإدارة الدولية للقناة يجب

أن تكون أساس التسوية ، إلا إذا قدمت الحكومة المصرية اقتراحات أخرى لنظام يواجه المطالب ويكفل للدول المنتفعة بالقناة ضمانات لاتقل فى أثرها عما ورد فى مقترحات الدول الـ ١٨) !

واتجهت بريطانيا وفرنسا إلى جمعية المنتفعين ، والمجلس الأوربى ، وحلف الأطلنطى ، للافادة منها لصالحهما . فأوصت اللجنة الخارجية بالمجلس الأوربى بتشكيل هيئة مراقبة تمثل الدول التى تهمها حركة المرور فى القناة ، ورسمت دول المجلس سياسة أوربية موحدة إزاء القناة تستنكر التأميم وتنادى بالتدويل ! (مع مراعاة حقوق السيادة المصرية) ! وفى مجلس الغرف التجارية الدولية أعلن لويد نيدلنجر الأمريكى أن التأميم سيكون له أثر سلبى فى توظيف رءوس الأموال الأمريكية والأوربية فى البلاد المتخلفة اقتصاديا ، وصرح هيدفى ألفان سفير فرنسا فى أمريكا أنه لا يستبعد أن تشق فرنسا طريقها بالقوة فى القناة إذا أغلقتها مصر ! ! !

هذه (صحيفة السوابق) البريطانية الفرنسية قبل التدخل الحربى ... فأين إذن وجه السلام الذى يريد أن يبدو به إيدن ؟ .

لقد وضع كرشنا منون مشروعا رأى فيه ـ حسب وجهة نظره ـ أنه يعطى مصر حقها فى هيئة إدارة مصرية للقناة ، مع اعترافها بجمعية للمنتفعين ، وينسق المشروع العلاقات بين الطرفين بما لا يمس السيادة المصرية طبقا لتقديره ، ويورد نظاما للرسوم والتحكيم والإدارة ... فنام المشروع فى أدراج المسئولين فى بريطانيا وفرنسا ، وتهكمت بريطانيا بأنها لا تعرف إن كان هذا مشروع الهند أو مصر ؟ إن الاستعمار لا يريد إلا بلوغ مآربه كاملة ... ولو جرت الدماء ! ! .

وفى هذه الأثناء حدث حادثان مهمان فى الشرق والغرب ...

وقع اعتداء قلقيلية من إسرائيل على الأردن ، وأجريت الانتخابات الأردنية ، وازداد التقارب بين الأردن وسوريا ومصر ، وأنشئت القيادة المشتركة ...

هذا فى الشرق ، وفى الغرب وقفت روسيا موقفا دقيقا بالنسبة لثورة بولندا والمجر ، وقررت بريطانيا وفرنسا انتهاز الفرصة ، والعمل فورا ...

واجتمعت هيئة الأمم لإنقاذ ما يمكن إنقاذه ، وتدارك ما فشل فيه مجلس الأمن ،

مكتبتنا العربية

لـكن بريطانيا وفرنسا لم تعبآ بقرارات هيئة الأمم ومضتا فى أعمالها (البوليسية ! !) من تدمير وتحريق ، واجتمعت الهيئة مرة أخرى . . .

وقدمت كندا اقتراحا كانت قد لمحت إليه فى الجلسة السابقة بشأن إرسال بوليس دولى إلى الشرق الأوسط لمراقبة تنفيذ قرارات هيئة الأمم، على أن يقدم همرشلد تقريره بشأن ذلك فى ظرف ٤٨ ساعة .

وتقدمت أمريكا باقتراح لإنشاء لجنتين لحل أزمة القناة ونزاع إسرائيل مع العرب، وقبل أن ينسى المجتمعون الغرض من الاجتماع همزت الهند الهيئة باقتراح يوصى همرشلد بمراقبة تنفيذ القرارات وتقديم تقرير فى ظرف ١٢ ساعة ! ! .

وزادت الجمعية العامة مشروعها عن البوليس الدولى تحـديدا ، فولت قيادته للجنرال بيرنز الـكندى كبير مراقبي الهدنة الفلسطينية ، على أن يختار قواته من غير الدول الـكبرى ذات العضوية الدائمـة فى مجلس الأمن ، وذكرت كندا والنرويج وكولومبيا ، والسويد والدنمرك، ونيوزيلندا وباكستان وسيلان ، ورومانيا وتشكوسلوفاكيا، كدول مرشحة لعضوية القوة الدولية .

واشترطت بريطانيا وفرنسا تـكوين القوة الدوليـة وقيامها بعملها فعـلا فى الشرق الأوسط لإيقاف الحرب بين مصر وإسرائيل وضمـان الملاحة فى القناة لتتخلى عن مهمتها العسكرية ! ! أما إسرائيل فراحت تستوضح عن مدى استمرار نشاط الفدائيين المصريين والمقاطعة الاقتصادية ، وكأنها تريد أن تنتهز الفرصة التى أتاحت لهـا أن تمرح على رمال الصحراء لتتملص من اتفاقية الهدنة ، وتروح تملى اشتراطاتها الجديدة لتؤمن نفسها عسكريا واقتصاديا . . . إنهـا تريد أن تقبض الثمن من الدول العربية ، بعد أن قبضت الثمن من بريطانيا وفرنسا ! ! .

وهـكذا قررت الجمعية العامة مرتين إيقاف القتال ، لـكنه لم يقف . . .

وكان على شعب مصر أن يحمـل العبء كاملا . . . وترك الشعب الوديع المسالم بذر الحب إلى بذر المجد ، وانتقل من الحقل إلى الميدان ، ومن خضرة الزرع إلى حمرة الدم . . كان عليه أن يدع الفأس ليحمل السلاح ، ويخلف المحراث والنورج ليقـود الدبابة والمصفحة ، ويعمل على بطارية المدفع . . .

مكتبتنا العربية

وأدى الشعب فى مصر واجبه كاملا ، وأسقط جيشه طائرات وأغرق بوارج ومدمرات ، وخرب الشعب العربى أنابيب البترول ، وقطع علاقاته مع بريطانيا وفرنسا ، وعادت إلى الأذهان أمجاد حطين ، والمنصورة ، وعين جالوت ...

ودخلت بور سعيد التاريخ حين هب شعبها يصطاد جنود المظلات بجانب الجيش والبوليس ... إنها لعبة جديدة يمارسها المكافحون من أبناء مصر .

وتطور الموقف إزاء صمود المجاهدين ...

أعلن مندوب بريطانيا فى هيئة الأمم أن أمرا صدر بإيقاف ضرب القنابل ، وادعى إيدن فى مجلس العموم أنه تلقى إشارة بإيقاف إطلاق النار فى بور سعيد ...

وكانت الحجة البريطانية لتبرير توقف الضرب دعوى وهمية ، هى أن بور سعيد طلبت شروط التسليم ، ونفت مصر ذلك بقوة ...

وكان الاتحاد السوفييتى قد استنكر الاعتداء البريطانى الفرنسى الإسرائيلى ، واحتج على إقفال البحرين الأبيض والأحمر فى وجه السفن ... وبعد أن أصدرت الجمعية العامة قرارها بإيقاف العدوان وانسحاب القوات الأجنبية ولم ينفذ ، طلبت روسيا التدخل المسلح عن طريق مجلس الأمن من جهة ، وعن طريق اتصال مباشر بين بولجانين وأيزنهاور لتشترك الدولتان جويا وبحريا فى العمل على انفاذ القرارات بالقوة فى نطاق الأمم المتحدة من جهة اخرى ، ولم يحرز الطلب الروسى الاصوات الكافية لإدراجه فى جدول أعمال مجلس الأمن ، كما رفضت أمريكا العمل المشترك مع روسيا قائلة إنها تعارض دخول أية قوات جديدة إلى الشرق الأوسط ، ذلك أن مثل هذا الدخول يعتبر نقضا لقرارات الأمم المتحدة بسحب القوات الأجنبية ، ويتعين على الدول الأعضاء ومنها أمريكا أن تقاوم مثل هذا النقض .

وتلقى إيدن وموليه وبن جوريون إنذارا روسيا شديد اللهجة بإيقاف الاعتداء ، كذلك استدعت روسيا سفيرها فى إسرائيل ...

وصمدت بور سعيد فى مقاومتها ، وناشدت مصر دول العالم العون ، وبخاصة الكتلة الإفريقية الاسيوية ...

وأمام الكفاح الوطنى وتفاقم الموقف الدولى فى وجه بريطانيا وفرنسا - فضلا عن المعارضة الحزبية الشعبية داخلهما - أعلنت الدولتان وقف إطلاق النار اعتبارا من الساعة

مكتبتنا العربية

الثانية من صباح ٧ نوفمبر ، على أن توافق مصر وإسرائيل على الكف عن القتال دون قيد ولا شرط ، وأخطر همرشلد الدولتين بأن لديه مثل هذه الموافقة من قبل .

لكن قبول مصر لايمكن أن يظل بدون تحفظ وقد وضع المعتدون أقدامهم على أرض مصرية فى سينا وبور سعيد . . . واشترطت مصر إنفاذ قرارات الأمم المتحدة كاملة ، ومنها انسحاب القوات الأجنبية من مصر والامتناع عن إرسال العتاد الحربى ، وتوجهت الأنظار مرة أخرى لهيئة الأمم المتحدة ، لتعالج الموقف فى ضوء قراراتها السابقة ومقترحات الكتلة الاسيوية الإفريقية الجديدة ، ولتناقش تقرير همرشولد بشأن البوليس الدولى ، وتعمل على تسوية أزمة إسرائيل ومسألة القناة . .

وهكذا انتقلت القضية مؤقتا إلى السياسة والدبلوماسية . . بعد أن عرقل المعلاق البور سعيدى سبيل الحرب والضرب والنار ، وفرض نفسه على التاريخ .

والسؤال الآن : هل المعتدون صادقون فى وقف القتال ، أم هم يكسبون الوقت ويقطعون الطريق على التدخل الروسى انتظارا لمغامرة جديدة ؟ ؟

وهل تفلح هيئة الأمم فى علاج مشكلات الشرق الأوسط سياسيا بنزاهة وعدالة ، دون استغلال للموقف العسكرى العدوانى للضغط على مصر والعرب ؟ ؟

لا أدرى الجواب . . . ولكن تجربة بور سعيد ـ على أية حال ـ ما زالت ماثلة أمام أصحاب العقول ؟

محمد فتحى عثمان

مركز تحقيقات كامپيوترى علوم اسلامى

يا للعار !

القاهرة ، عاصمة العالم الإسلامى ، وأزهى خلاصة لحضارة الشرق .

القاهرة المضيافة الكريمة النبيلة التى اتسع صدرها لتجارة وصناعة و (ثقافة) بريطانيا وفرنسا .

هذه القاهرة ، تضربها بريطانيا وفرنسا بالقنابل ؛ يا للعار !

يا للعار من هذه الثياب التى نرتديها من ديارهم ، وهى اليوم على أجسامنا نار ! . .

يا للعار من فتح أسواقنا لتجارتهم ، ويا للعار من إدماج صناعتنا بصناعتهم ! .

يا للعار من (تعليم أولادنا) فى مدارسهم ومعاهدهم هنا فى مصر ، وهناك فى لندن وباريس .

يا للعار من دولتين تنكرتا لكل القيم الخلقية ، وكل المبادئ الإنسانية ، وكل مايجعل المخلوق البشرى إنسانا لا حيوانا .

يا للعار ونحن نشهد نساءنا وأطفالنا ينظرون بذهول كأنهم يتساءلون كيف كنا (نكذب عليهم) كل هذا الزمان ، و (نتغنى بحضارة الغرب) التى انقلبت إلى غربان .

أحمد الصاوى محمد فى « ما قل ودل »

مكتبتنا العربية

أنباء العالم الإسلامي

بغى إسرائيل

والمؤامرة المبيتة

أعلنت حكومة إسرائيل فى مساء الأحد ٢٨ أكتوبر التعبئة العسكرية ، ووضعت فصائل من قواتها على طول الحدود الفاصلة بين إسرائيل والبلاد العربية . وزعمت أن هذا الإجراء وقائى للمحافظة على المستعمرات الإسرائيلية القريبة من تلك الحدود .

وقد أرسل إيزنهاور رسالته إلى بن غوريون ينصح له فيها بأن يتجنب ما من شأنه زيادة التوتر فى الشرق الأوسط . ولم تعبأ إسرائيل برسالة ايزنهاور ، وأعلن راديو تل أبيب فى اليوم التالى (الاثنين ٢٩ أكتوبر) بلاغا حربيا إسرائيليا بأن القوات الإسرائيلية بدأت هجومها على مصر واحتلت ثلاث نقط — كوم متلا ، ونخل ، ورأس النقب — وأن إسرائيل استخدمت فى هجومها جنود المظلات . ومنطقة كوم متلا صحراوية خالية إلا من نقطة مراقبة الحدود ، وكذلك المنطقتان الأخريان .

وفى نفس اليوم نصحت السفارة الأمريكية لرعاياها بمغادرة مصر ، وطلبت الحكومة الأمريكية إلى رعاياها فى سوريا والأردن وإسرائيل بأن يرحلوا عن تلك البلاد . وكذلك فعلت انجلترا مشيرة على رعاياها بمغادرة منطقة الشرق الأوسط .

ومعنى هذا أن أمريكا نصيرة إسرائيل كانت تعلم أن وراء الستار أمرا مبيتا ، وقد تكون إسرائيل أداة من أدوات هذا الأمر المبيت ، وإلا فقد كان يجب على أمريكا وجناحيها الانجليزى والفرنسى أن يكون موقفهن من إسرائيل كموقفهن من الدول العربية لو أن الدول العربية هى التى بدأت بالتعبئة ، وأعقبت ذلك بالهجوم .

وانفضحت المؤامرة الثيثلثانية فى يوم الثلاثاء ٣٠ أكتوبر باعلان مجرم الحرب أنتونى إيدن فى مجلس العموم أن انجلترا وفرنسا ستحتلان منطقة قناة السويس بعد ١٢ ساعة من تقديم الإنذار بذلك إذا لم تكف مصر وإسرائيل عن القتال ، وبالطبع لم تكن إسرائيل لتكف ، لأنها مدفوعة من انتونى إيدن للتحرش بمصر ، وأن تتحداها لتدافع مصر عن نفسها ، فيقوم إيدن بتمثيل دور الحماية لإسرائيل المعتدية ، وذلك بمهاجمة مصر وإرغامها على تحويل قواتها عن إسرائيل لمحاربة حامى إسرائيل الذى يريد

مكتبتنا العربية

أن يحتل منطقة القنال ، كل هذا قد حققته الحوادث المتتالية ، وكانت أمريكا تتوقعه .

الطغيان البريطانى الفرنسى

فى الساعة الرابعة والنصف بعد ظهر يوم الثلاثاء ٣٠ اكتوبر سلمت الحكومة البريطانية إلى السفير المصرى بلندن انذارا موجها إلى الحكومة المصرية :

١ — بايقاف جميع الأعمال الشبيهة بالحربية فى البر والبحر والجو .

٢ — سحب جميع القوات العسكرية المصرية إلى مسافة عشرة أميال من قناة السويس (أى أن تنسحب القوات المصرية من الأرض المصرية !) .

٣ — أن تقبل مصر احتلال القوات البريطانية والفرنسية للمواقع الرئيسية فى بور سعيد والاسماعيلية والسويس !

ويطلب الإنذار الإجابة عليه فى الساعة السادسة والنصف صباحا بتوقيت القاهرة يوم ٣١ اكتوبر ، فاذا لم تتسلم انجلترا وفرنسا هذه الإجابة فى الوقت المحدد فانهما ستتدخلان بالقوة ، بالقدر الذى تريانه ضروريا لضمان إجابة مطالبهما !

وقد اتخذت بريطانيا وفرنسا ذريعة لعملهما القتال الدائر داخل الأراضى المصرية بين القوات المهاجمة من قوات إسرائيل المسلحة والقوات المصرية المدافعة ، ولكن بدلا من أن تتنكرا للمعتدى انضمتا اليه ضد المعتدى عليه !

وفى الساعة العاشرة من مساء الثلاثاء ٣٠ اكتوبر استدعى الرئيس جمال عبد الناصر السفير البريطانى فى القاهرة ، ونبهه إلى أن الإنذار الذى وجهته بريطانيا باسمها واسم فرنسا إلى الحكومة المصرية فى ذلك اليوم لا يمكن قبوله بحال ؛ بل تعتبره مصر اعتداء على حقوقها وكرامتها ، وامتهانا صارخا لميثاق الأمم المتحدة . ففى الوقت الذى تدافع فيه مصر عن نفسها داخل أراضيها ضد العدوان الإسرائيلى ، تتحفز بريطانيا وفرنسا للعدوان على المعتدى عليه ! فمصر لا يسعها إزاء أى عدوان عليها إلا أن تدافع عن حقوقها وكرامتها .

ثم استدعى الرئيس جمال عبد الناصر من السفارة الفرنسية القائم بأعمالها ، وطلب منه أن يبلغ حكومته ما تقدم .

موقف دول الحضارة

من المؤامرة المبيتة

لما قدمت بريطانيا وفرنسا إنذارهما إلى مصر ، طلبت روسيا إلى مجلس الأمن أن يحذر الدولتين بألا تستغلا الموقف الناشئ فى مصر نتيجة للهجوم الإسرائيلى الغادر . ووقف أركادى سوبوليف مندوب روسيا

مكتبتنا العربية

فى مجلس الأمن فأعلن أن المجلس يواجه موقفا فى منتهى الخطورة ، وأن إسرائيل لم يكن فى وسعها أن تتصرف بالكيفية التى تصرفت بها لو لم تنل مساعدة من الدوائر العدوانية التى تسعى إلى التماس عذر لإرسال قواتها إلى الشرق الأوسط . وحث المجلس على أن يصدر تحذيرا للدول الأخرى بعدم التدخل فقال : إن هذا التحذير يشمل بريطانيا وفرنسا بصفة خاصة . وقدم كابوت لودج مندوب الولايات المتحدة الأمريكية اقتراحا سلميا بمشروع قرار وصف بأنه فى غاية الشدة إلا أنه لا يتضمن أى استنكار للعمل الذى قامت به إسرائيل . فاقترح مندوب روسيا أن يتضمن المشروع الأمريكى لوما لإسرائيل واستنكارا لعملها ، فرفض ذلك لودج وأدرج فقرة جديدة تطالب كلا من مصر وإسرائيل بأن توقفا القتال حالا . ووصف مندوب يوغسلافيا إنذار البلدين بأنه عمل من أعمال القوة أخذ من جانب واحد ، وأنه موجه فى المقام الأول ضد البلد الذى يعد ضحية للعدوان ، وهو أمر مخالف لميثاق الأمم المتحدة . ومع ذلك عرض مشروع القرار الأمريكى للتصويت فوافق عليه (٧) أعضاء ، وامتنعت أوستراليا وبلجيكا ، وقالت بريطانيا وفرنسا « فيتو » فسقط القرار

وفى يوم الأربعاء أصدرت روسيا بيانا قالت فيه إن الحقائق تدل على أن غزو القوات الإسرائيلية للأراضى المصرية ليس إلا مؤامرة أحكمت الدول الغربية تدبيرها ، ولا سيما بريطانيا وفرنسا ، لتتخذا من ذلك ذريعة لاحتلال البلاد العربية ولاسيما منطقة قناة السويس . واستدعت وزارة الخارجية السوفيتية سفيرى بريطانيا وفرنسا فى موسكو لتبليغهما احتجاج روسيا على التطورات الحالية فى منطقة قناة السويس . كما أن داج همرشلد السكرتير العام للأمم المتحدة قدم استقالته احتجاجا على هذا البغى . وقال سوبولوف مندوب روسيا فى مجلس الأمن : إن بريطانيا وفرنسا باعتدائهما على مصر واستخدامهما القوة ضدها وضربهما البلاد المصرية بالقنابل ، تخرقان ميثاق الأمم المتحدة . وقال مندوب فرنسا ردا على اتهام فرنسا بالعدوان : إننا ننكر بشدة مثل هذه الاتهامات ، وإنما هو تدخل مؤقت للحكومتين فى وضع يسمح لهما بإعادة الأمن والسلام ! ونأمل أن يقدم المجلس تأييده وعطفه لما نحاول أن نعمله للمحافظة على السلام ! وقال ديكسون مندوب بريطانيا : إن الغرض من هذا التدخل هو تأمين قناة السويس ! وإعادة السلام لمنطقة الشرق الأوسط !

وفى مساء الخميس أول نوفمبر اجتمعت الجمعية العامة للأمم المتحدة اجتماعا عاجلا طارئا عملا بقرار مجلس الأمن بأغلبية (٧) أصوات بناء على اقتراح المندوب اليوغوسلافى لبحث الموقف فى الشرق الأوسط بعد الاعتداء الثلاثى الموجه إلى

مكتبتنا العربية

مصر ، ويعد هذا الاجتماع أخطر اجتماع واجه الأمم المتحدة بعد أن فشل مجلس الأمن فى الوصول إلى حل يحقق السلام ، فامتلأت قاعة الاجتماع التى تضم ١٢٠٠ مقعد ، وامتلأت مقاعد الصحافة وعددها ٢٣٤ مقعدا ، وامتلأت قاعة مجلس الوصاية بأكثر من ٤٠٠ شخص ، وكان أعضاء الجمعية يمثلون ٧٢ دولة ، ودعى مندوب شيلى ليرأس الجلسة ، وقدم مندوب الفلبين مشروع قرار بوقف اطلاق النار فورا ، وانسحاب القوات البريطانية والفرنسية ، وعودة القوات المصرية والاسرائيلية إلى المواقع التى حددها اتفاق الهدنة ، ثم تكلم مندوب فرنسا معترضا ، وتكلم مندوب مصر شارحا مبينا ، وتكلم مندوب سيلان مؤيدا لمصر ، وتكلم مندوب بريطانيا بما ينتظر من ممثلى الطغيان والبغى ، وتكلم مندوب الصين ، ثم مندوب أمريكا ، ومندوب كندا ـ وهو وزير خارجيتها ـ الذى اقترح ارسال قوة بوليسية دولية مؤقتة إلى منطقة الشرق الأوسط لإقرار السلام فى تلك المنطقة ، على أن تكون تلك القوة تحت اشراف الأمم المتحدة وقوامها عشرة آلاف رجل لمراقبة الحدود بين اسرائيل والدول العربية .

وفى اليوم التالى أعلن السكرتير العام للأمم المتحدة بيانا قال فيه : إننى أرى فى قرار الأمس الذى أيده أكبر عدد من الأصوات أمكن تسجيله فى تاريخ الأمم المتحدة حدثا يقوى مركز المنظمة ويعطى مغزى جديدا لمبادئها وأهدافها ، وإننى أشارك الجمعية العامة أملها فى أن وقف اطلاق النار وايقاف التحركات العسكرية فى منطقة الشرق الأوسط وسحب جميع القوات إلى ما وراء خطوط الهدنة سينفذ فى الحال . ثم قال : إننى لا أؤمن بأن أعمال العنف ـ أيا كان سببها ـ يمكن أن تؤدى إلى التعاون ، ولست أعتقد أن الانتصارات التى تحرز بانتهاك التزامات المعاهدات يمكن أن تخلق الثقة بين الشعوب المتجاورة . ولكننى أؤمن بأن احترام قرارات الأمم المتحدة يجلب للدول تعضيد المجتمع العالمى الذى تحتاج إليه كل دولة .

وعين همرشلد لجنة من ثلاثة أعضاء لمراقبة تنفيذ قرار الأمم المتحدة بوقف إطلاق النار فى الشرق الأوسط ، بينما كانت البرقيات تحمل أنباء استمرار الهجوم البريطانى الفرنسى الإسرائيلى على مصر ، كأن الأمم المتحدة لم تقرر شيئا !

وفى يوم الاثنين ٥ نوفمبر أعلنت الحكومة السوفيتية أنها استدعت سفيرها فى تل أبيب وأنذرت إسرائيل بضرورة تقدير قيمة إنذار روسيا لها . وجاء الإنذار الروسى فى رسالة بعث بها بولجانين إلى بن غوريون وقال فيها : إن إسرائيل تقوم بمغامرة جنونية بتحديها كل دول الشرق التى تكافح الاستعمار ،

مكتبتنا العربية

فاسرائيل تخدم أغراض المستعمرين وتنشر روح الكراهية بين الشعوب، وإن تصرفاتها تهدد وجودها وكيانها . ووجه بولجانين إنذارا نهائيا إلى كل من بريطانيا وفرنسا أعلن فيه تصميم الحكومة الروسية على استخدام القوة للقضاء على عدوانهما على مصر ، وقال : « إن بريطانيا وفرنسا قد تستهدفان هجوم من دولة أقوى منهما كثيرا ، وتستطيع أن تضربهما لا بالسفن والطائرات بل بالصواريخ الموجهة . قال : وقد تعدون استخدام الصواريخ الموجهة ضد بريطانيا عملا همجيا ، لكن ما الفرق بين مثل هذا الهجوم على بريطانيا وفرنسا والهجوم الذى تشنه بريطانيا وفرنسا على مصر المسالمة ؟! » .

وفى يوم الأربعاء ٧ نوفمبر استأنفت الجمعية العامة للأمم المتحدة بحث الموقف بالشرق الأوسط ، وبعد مناقشات وخطب قدم تقرير من ١٩ دولة يقضى بأن تسحب إسرائيل قواتها إلى ما وراء خطوط الهدنة ، وأن تبادر بريطانيا وفرنسا بسحب قواتهما المعتدية على مصر . وبعد مناقشات طويلة اقترع الأعضاء على مشروع إنشاء قوة دولية فوافقت عليه ٦٤ دولة وامتنعت ١٢ دولة عن التصويت . ثم اقترع على مشروع قرار الدول التسع عشرة القاضى بسحب القوات الإنجليزية الفرنسية الإسرائيلية فورا من الأراضى المصرية فوافقت عليه ٦٥ دولة وامتنع ١٠ عن التصويت ولم تعارضه سوى إسرائيل . ومع ذلك لا يزال صوت البغى مرتفعا فى بورسعيد كما ترى فى نهاية الفصل التالى .

مصر أمام الطاغوت المثلث

كان أول ما قامت به القوات المصرية عقب العدوان الإسرائيلى أن التقط إنذار سلاح الحدود فى كوم مثلا والثمد ونخل اشتبكت بقوات العدو مساء الاثنين ٢٩ اكتوبر ، وإلى صباح الثلاثاء لم تتمكن قوات العدو من التغلب فى المناطق الثلاث ، ومع ذلك فإن تقدم قوات العدو كان فى طريق خال ، ولكن السلاح الجوى المصرى قام فى يومى الاثنين والثلاثاء بهجمات متوالية على إسرائيل وكبدها خسائر كثيرة فى طائراتها المقاتلة ، ودمرت مطار « عكير » و « رماد داود » وأصابت عربات محملات بالجنود وعربات مصفحة ومدمرة . وفى يوم الأربعاء ليلا قامت المدمرة المصرية « إبراهيم » بضرب ميناء حيفا وفى طريق عودتها اشتبكت مع ٣ سفن حربية تساندها ٣ طائرات ، فاستمر الاشتباك مدة ثلاث ساعات أصيبت بعدها المدمرة ابراهيم وتعطلت عن الحركة ، فقرر قائد السفينة إغراقها .

ومن مساء الأربعاء ٣١ اكتوبر شرعت القاذفات الثقيلة البريطانية والفرنسية بمهاجمة

القاهرة والمدن المصرية وألقت قنابل محرقة وأخرى شديدة الانفجار، ثم توالت الغارات الجوية بلا انقطاع، وكانت المدفعية المصرية تقابلها بشدة فى كل مكان ، وإلى مساء الجمعة ٢ نوفمبر كان السلاح الجوى المصرى ومدفعية مصر المضادة للطائرات قد اسقطا ٥٢ طائرة للعدو منذ بدء العمليات الحربية ، أما فى إسرائيل فان مصر دمرت ربع الطائرات الإسرائيلية ، ولولا حماية مجرمى الحرب لإسرائيل لاستطاعت القوات المصرية وحدها أن تزيل إسرائيل نهائيا من فلسطين .

وفى يوم الجمعة أدى الرئيس جمال عبد الناصر الصلاة فى الأزهر ، وخطب من منبره بعد الصلاة ، فقال : إن خطة الأعداء كانت تستهدف استدراج الجيش المصرى إلى صحراء سينا لمقاتلة إسرائيل ، لتنفرد بريطانيا وفرنسا بالمواطنين فى داخل مصر فلا تجد المقاومة الواجبة ، وقد انتبهنا لهذه المؤامرة الثلاثية فسحبنا قواتنا المسلحة من سيناء ، وحشدناها فى القناة والدلتا لملاقاة الانجليز والفرنسيين ، وهكذا وحدنا جبهاتنا كلها فى جبهة واحدة فى قناة السويس لنقرر مستقبل وطننا ، وسنقاتل فى كل مكان ، وسأقاتل معكم ضد أى غزو إلى آخر نقطة من الدماء ، وسنبنى بلدا وتاريخا ومستقبلا . وإن مصر كانت دائما مقبرة الغزاة

ومن همجية التوحش الغربى أن طائرات الطاغوت المثلث ضربت بقنابلها السكان الآمنين فى دورهم وقراهم ، فاستشهد ١٠٤ من المدنيين وجرح ٤٠ فى بلدتى أبو زعبل ، وأبوحماد ، ودمرت ٧ منازل وأصيبت كنيسة للأقباط كما أغرقت سفينة مصرية فى القناة فعطلت الملاحة فيها .

وفى صباح السبت ٣ نوفمبر حاولت قوات بحرية بريطانيا وفرنسا فى شمال البحر الأحمر الاقتراب من ميناء السويس ، فتصدت لها المدفعية الساحلية وأمطرتها وابلا من نيرانها الحامية فأغرقت قطعة بحرية بريطانية منها ، وأسرعت القطع الباقية بالانسحاب جنوبا بعيدا عن الشواطئ المصرية ، ولكن وحدات الاسطول المصرية خفت لمطاردتها فى عرض البحر وضربتها بشدة أثناء انسحابها ، فاسفرت المعركة عن إغراق قطعة بريطانية أخرى وحاملة جنود وإصابة قطعة ثالثة .

ومن صباح الأحد ٤ نوفمبر بدأت الصحف اليومية المصرية تصدر بأربع صفحات ، فاستراح قراؤها من اللغو والثرثرة النسائية والحديث عن الفحشاء والإجرام ، وحبذا لو استمرت كذلك بعد زوال المحنة ليستفيد الشعب من وقته الذى كان يضيع سدى بما لا فائدة منه إن لم يكن مصدر ضرر وشر .

وفى يوم الأحد بدأت ترد الأخبار بنسف الشعوب العربية لأنابيب البترول الممتدة فى سوريا وليبيا ولبنان والبلاد الأخرى ، بل وردت أخبار بنسف أنابيب أرامكو .

وفى يوم الأحد أيضا حاولت ثلاث سفن من الأسطول البريطانى الاقتراب للمرة الثانية من شواطئنا على البحر الأحمر فتصدت لها قواتنا الباسلة واشتبكت معها فى معركة بحرية

أسفرت عن إغراق إحدى السفن الثلاث، وأسرعت السفينتان الأخريان بالفرار. كما اشتبكت قواتنا المسلحة مع مدمرة فرنسية قرب الشواطئ المصرية شمالى الدلتا وأغرقتها بعد أن أصابتها إصابة مباشرة وعليها ٦٠٠ من رجالها غرقوا معها.

ودمر العدو فى يوم الأحد كوبرى الفردان القائم على قناة السويس، وهدم كنيسة فى الإسكندرية فقتل ٣ وأصيب ١٢ بجروح مختلفة. وبلغ عدد طائرات العدو الحربية التى أسقطها السلاح المصرى ٨٧ طائرة.

وفى يوم الاثنين ٥ نوفمبر تحولت مدينة بور سعيد إلى مقبرة للجنود الغزاة، إذ شرعت قيادة العدو البريطانية الفرنسية الإسرائيلية من الصباح الباكر فى إنزال قواتها من جنود المظلات فى بور فؤاد ومطار الجميل والجبانة فبادرت قوات الجيش المصرى بالتعاون مع البوليس والشعب بحصدهم وإبادتهم عن آخرهم، وما حلت الساعة الحادية عشرة حتى كانت قواتنا قد قضت قضاء تاما على قوات العدو فى مطار الجميل وسيطرت سيطرة كاملة على مدينة بور سعيد. وقبيل الظهر بقليل أنزل العدو قوات أخرى فى منطقتى بور فؤاد والجميل بعد أن أبيدت قواته السابقة، فخفت قواتنا لملاقاتها والاشتباك معها فى معارك مريرة عنيفة، فأنزلت بها خسائر فادحة اعترف بها الجنرال كيتلى قائد قيادة العدو، كما اعترف بعنف المعارك، وبتصميم المصريين على الدفاع حتى النهاية.

وقبيل غروب الشمس تمكن العدو من تعزيز قواته مرة أخرى فى هاتين المنطقتين فبلغ القتال ذروته، واستطاعت قواتنا السيطرة التامة على بور سعيد عدا منطقة الجميل وجزء من بور فؤاد.

وقد أسقطت قواتنا يومئذ فى بور سعيد ١٥ طائرة للعدو، كما أسقطت فى القاهرة ٨ طائرات وفى أبى زعبل ٣ وفى ألماظه ٢ وواحدة فى كل من العباسية وحلوان ومنشية البكرى، كل ذلك فى يوم واحد وهو يوم الاثنين.

وفى يوم الثلاثاء ٦ نوفمبر أعلن داج همرشلد السكرتير العام للأمم المتحدة أن بريطانيا وفرنسا وافقتا على وقف إطلاق النيران فى مصر ابتداء من الساعة الثانية من صباح الأربعاء بتوقيت القاهرة، ولكن حل الوقت المضروب والقتال ما برح مستمرا فى منطقة بور سعيد التى بلغ من دناءة العدو أن قطع المياه عن أهلها.

وقد صدر البلاغ الحربى المصرى رقم ٣٣ فى الساعة الثالثة والربع من بعد ظهر يوم الأربعاء ٧ نوفمبر يقول: «بالرغم من قرار وقف إطلاق النار فى الساعة الثانية من صباح أمس بتوقيت القاهرة، فقد طوقت القوات البريطانية والفرنسية مدينة بورسعيد واستمر عدوان هذه القوات ضد قواتنا والمدنيين فى مدينة بور سعيد حتى صدور هذا البلاغ». وكانت مدفعية الأسطول البريطانى تضرب المدينة فحدثت حرائق

مكتبتنا العربية

فى منطقة « المناخ » و « شارع عباس » .

وقام الإنجليز بفتح الجمرك والعبث بمحتوياته ، وامتلأت سماء بور سعيد فى مساء الأربعاء بالأدخنة السوداء المنبعثة من الحرائق ، وحاولت القوات البريطانية والفرنسية التدخل فى الحياة العادية بالمدينة فقوبلت من الأهالى وقناصتهم بالشدة ، وإلى منتصف الساعة السادسة من مساء الأربعاء كانت الدلائل واضحة على استمرار القتال .

وقد أخذت الهيئات والأفراد تتنافس فى التبرع لتعمير بور سعيد الباسلة ، فتبرعت هيئة تدريس جامعة عين شمس بخمسة عشر ألف جنيه ومثلها من بنك القاهرة ، وتبرع الأزهر بخمسة آلاف جنيه . ورغب طلاب الأزهر فى التبرع بنسبة ٢٪ من مخصصاتهم عن شهر نوفمبر وعددهم ٣٣ ألف طالب ، وتبرع مجلس نقابة المهن الزراعية بثلاثة آلاف جنيه ، والتنافس على هذا النحو لا يزال فى بدايته .

الأزهر فى صفوف الجهاد

أصدر فضيلة الأستاذ الأكبر شيخ الجامع الأزهر القرار التالى :

« لقد أصبح الوطن الآن فى حاجة إلى جهود جميع أبنائه ، وصار الجهاد فرضا على كل وطنى فى هذه الظروف الحرجة التى تجتازها البلاد .

والأزهريون أولى الناس بالاستجابة إلى نداء الوطن والإسهام فى هذا الواجب المقدس

لذلك قررت مشيخة الأزهر وقف الدراسة فى الكليات والمعاهد الدينية بالقاهرة والأقاليم مؤقتا ابتداء من يوم الخميس ٢٧ من ربيع الأول ١٣٧٦ (الموافق أول نوفمبر ١٩٥٦) لإتاحة الفرصة لشباب الأزهر ورجاله فى القيام بواجبهم مع جنود جيش التحرير الوطنى

وإنى أنادى أبنائى الأزهريين ، بقول الله تعالى : « انفروا خفافا وثقالا وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم فى سبيل الله ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون » .

وقف الدراسة فى الجامعات والمدارس

قال وزير التربية والتعليم القائم بالقيادة العامة لجيش التحرير فى بيان أذاعه يوم الأربعاء ٣١ اكتوبر :

« فى هذه اللحظات الحاسمة التى يجتازها الوطن ، ورغبة فى عدم حرمان الشباب الجامعى الذى تحركه أنبل المشاعر للبذل والتضحية فى سبيل الدفاع عن استقلالنا وحريتنا ، ورغبة فى أن يسهم هذا الشباب بمجهوده القوى فى « التعبئة العامة » التى أعلنتها مصر لكى تذود عن عزتها وكرامتها ، فقد تقرر وقف الدراسة مؤقتا فى الجامعات المصرية والمعاهد العليا وفى المدارس الثانوية وما فى مستواها ، وبذلك تتاح لهم الفرصة للانضمام إلى قيادات جيش التحرير الوطنى ، لكى ينتظموا صفوفا قوية فى المحافظة على أمانى الوطن ومستقبله » .

الفهـرس

صفحة	الموضـــــوع	بقـــــلم
٣٢٧	العـلاق بين أمسه ويومه	الأستاذ محب الدين الخطيب رئيس التحرير
٣٤٥	نفحات القرآن : الوفاء فى نظر الاسلام . .	« عبداللطيف السبكى عضو جماعة كبار العلماء
٣٥٠	السـنة : الاقتصاد فى الموعظة	« طه محمد الساكت . . . . .
٣٥٤	المؤمن الحق	« محمد الطنيخى عضو جماعة كبار العلماء
٣٥٦	مذاهب ومذاهب	« أبو الوفا المراغى . . . . .
٣٥٩	صفحات من البطولة فى الاسلام	« محمد أبو شهبة . . . . .
٣٦٤	موجة الانحلال ، والصحف الدائبة على تغذيتها	جماعة الشبان المسلمين . . . . .
٣٦٨	من وحى المولد النبوى الشريف	الأستاذ محمود إبراهيم طيرة . . . . .
٣٧٢	نداء من فضيلة الأستاذ الأكبر شيخ الجامع الأزهر	. . . . .
٣٧٤	بحوث فى مصادر الشريعة النظرية ـ ٦ ـ . .	« زكى الدين شعبان . . . . .
٣٨٢	التصوف بين التأييد والمعارضة	« أحمد الشرباصى . . . . .
٣٨٨	مجلس الأزهر الأعلى يستنكر عدوان فرنسا على الجزائر الباسلة	. . . . .
٣٨٩	الله أكبر ـ جاء النصر	فضيلة الأستاذ الأكبر شيخ الجامع الأزهر
٣٩١	الجهاد فى شريعة الاسلام ـ وتاريخه . . .	الأستاذ محب الدين الخطيب . . . . .
٤٠٢	للمعركة . . . فى بلدنا !!	« محمد فتحى محمد عثمان . . . . .
٤٠٨	العـالم الاسلامى	المجلة . . . . .